شرح مقصورة المكودي

للسيد عبد الله كنون الحسني

سنة ١٣٥٦ هجرية

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

المكودى

إسمه ونسبه . بيته بفاس . عصره . نبوغه . تصدره للشهاده والاقراء
اطلاعه على الالفية . اقتراح شرحها عليه . الوزير المقترح
تلاميذ المكودى . كتبه . شرحاه الصغير والكبير
المقصوره . ملكته فى الشعر . بعض
أشعاره . وفاته . ضريحه

هو أبو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودى ، بتخفيف الكاف كما ضبطه غير واحد وبتشديدها على ما يناسب نسبته إلى بنى مكود إحدى قبائل هوارة الواقعة فيما بين فاس وتازة . وهو فاسى الدار والمحتد والوفاة ، بل ان بيتهم بفاس كان بيت فقه وكتابة وعدالة وثروة ، ولهم زقاق بها يقال له قديما عقبة المكودى .

ولد أبو زيد ونشأ فى بيت علم وجاه فدرج على سنة أهل بيته من طلب العلم والجد فى تحصيله ، وكان العصر عصر ازدهار العلوم والمعارف بفاس ، يكفى أن نقول انه عصر المرينيين وعصر البقية الصالحة ، منهم : أبى عنان ، وأبى سالم ، وابن فارس إلى آخره . وقد اعتمد فى الأخذ الشيوخ المحصلين ذكروا منهم الفقيه الأصولى النظار أبا محمد عبد الله الوانقيلى الضرير ، فكان أن نبغ منه ذلك العالم النحوى اللغوى المشهور صاحب الأنظار الدقيقة والأبحاث المفيدة .

بعد ذلك تصدر للشهادة فكان له دكان بسماط العدول معروف . وجلس

للأقراء بمدرسة العطارين فكان يقرىء بها كتاب سيبويه وهو آخر من أقرأه بفاس مطلقا . وأقرأ بغيرها كمدرسة الصهريج . ويقال إنه بينما كان يقرىء كتاب سيبويه بمدرسة العطارين أتاه طالب من البربر قدم من المشرق بألفية ابن مالك فأطلعه عليها وعلى شرحيها لابن الناظم والمرادى فاستحسنها وأطلع عليها وزير الوقت فطلب منه شرحها فشرحها . وكان هو أول من كتب عليها بفاس وبسببه اشتهرت وعلى يده ظهرت .

والوزير المذكور هو أبو زيد عبد الرحمن بن الحاجب أبى العباس أحمد القبائلى ، من بيت القبائلى الذى طالما تداول أفراده الوزارة والحجابة فى العصر المرينى .وقد ذكره المكودى نفسه فى خطبة شرحه على ماوجد فى بعض النسخ المخطوطة وحلاه بحلى كثيرة وأكثر النسخ لا ذكر له فيها وكأنه إنما أثبته فى النسخة الأصلية التى قدمها للوزير على وجه الاهداء فالنسخ التى يوجد فيها ذكر الوزير هى فروع هذه النسخة وغيرها فروع لما لم يثبت له فيها ذكرا . وإذا اعتبرنا قوله فى غير النسخة الوزيرية : « والباعث على ذلك أن بعض الطلبة المبتدئين والفئة المجتهدين المعتنين بحفظها القانعين بمعرفة لفظها ، طلب منى أن أضع عليها شرحا » إذا اعتبرنا هذا كناية عن ذلك الوزير فانه يكون من طلبة المكودى الآخذين عنه والمتخرجين على يده ولا معارضة حينئذ بين النسختين اللتين تقول الأخرى منهما أيضاً : « والباعث على ذلك أن الحاجب الاسمى الخ طلب منى أن أضع عليها شرحا » إلا أن يكون صاحب الطلب متعدداً فيكون أشار فى كلتا النسختين لواحد .

وممن أخذ عن المكودى العلامة أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد وهو ممن اثنى عليه بالعلم والصلاح والفضل والشيخ أبو عبد الله الكاوانى شيخ الامام

ابن غازى سمع عليه بمدرسة الصهريج الألفية ينقل عليها كلام المرادى ويباحثه والشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجادرى العباسى روى عنه مقصورته وغيرها

وقد ألف المكودى تآليف عديدة من أشهرها شرحه على ألفية ابن مالك وهو مشهور عم النفع به الحاضر والبادى من لدن زمان مؤلفه إلى الآن . وتنتقد عليه فيه بعض المواضع ولو وجد من يعتنى به فهذبه ويجرده من الاعراب الذى طال بسببه إلى الضعف ، لكان خير شرح للألفية من جهة وضوح العبارة واستيفاء الغرض من غير إخلال بالمراد ولا استطراد لزائد على الأصل .

وقد اشتهر أنه وضع عليها شرحاً آخر أكبر منه إلا أن بعض حسدته أتلفه ، وهذا وإن لم يكن غريباً من فعل الحسدة وخصوصا الحسدة على العلم فانى أظن أن الشرح الكبير لم يكمل ، يرشد الى ذلك قوله هو فى باب الصفة المشبهة : « وأنا أبسطها وأوعب الكلام عليها فى الشرح الكبير إن شاء الله » وقول الشيخ أحمد بابافى نيل الابتهاج : « ألف شرحاً مختصراً على الألفية اعتنى به الطلبة كثيراً وآخر كبيراً لم يتم أتلفه الحسدة إلا أوائله على ماقيل نقل عنه ابن غازى وغيره » فهذا الكلام نص فى عدم تمامه وحينئذ يقال أن الحسدة أتلفوا ما أتلفوا منه قبل تمامه فضعفت نفس المؤلف عن إعادة ما أتلف منه أما لو كان تم فان الغالب أنه يكون قد تعددت نسخه فيتعذر إتلافه لا سيما والمكودى كثير الطلبة وضع شرحه باقتراح وإلحاح كما مر . وليس ما بقى من هذا الشرح كثيراً فى ابن غازى أنه ينتهى عند قول الناظم : « وذو ارتفاع فى انفصال البيتين » وتدل الأبحاث التى نقلها عنه أنه شرح مفيدحقا كما يقولون .

وللمكودى أيضاً شرح الآجروميةوشرح على نظم المقصور والممدودلابن مالك ورجز بديع فى التصريف سماه البسط والتعريف وهو نحو أربعمائة بيت وفيه

يقول مفتخراً :

فلو نهوا عن الهوى النفوسا　　واجتنبوا التمويه والتلبيسا
لسلموا أنى فهم ماهر　　ونور فهمى فى العلوم باهر
لكن كبار أهل هذا العلم　　يدرون تحقيق له وفهمى

وقد اعتنى به كثيرمن الأفاضل وشرحوه ، ومن أحسن الشروح عليه شرح العلامة المرابط الدلائى فى سفرين ، وله أيضاً نظم المعرب من الألفاظ العجمية وغير ذلك .

ومن آثاره الأدبية المقصورة المشهورة التى نظمها فى السيرة النبوية وعارض بها مقصورتى ابن دريد وحازم ونكت فيها عليهما بقوله :

مقصورة لكنها مقصورة　　على امتداح المصطفى خير الورى
ماشبتها بمدح خلق غيره　　لرتبة أحظى بها ولا جرا
فاقت علاء كل ذى مقصورة　　وإن هم نالوا الأيادى واللهى
لحازم قد عد غير حازم　　وابن دريد لم يفده ما درى

وهى ٢٩٤ بيتاً وقد أكثر اقتباسه فيها ومجاراته لحازم والشقراطيسى والبوصيرى ومع ذلك فانه أجاد فى بعض أبياتها إجادة نادرة وتوخى فيها السهولة فلم يغمض فى ألفاظها ولا فى معانيها وجانب الأغراض الباطلة التى لا تتناسب والمقصود المهم من نظمها وهو مدح الذات المحمدية فلذلك ما تلقيت بالقبول وكثر اعتناء الناس بها فشرحها كثير من الأدباء والعلماء إلا التى لم أقف على شرح لها أصلا بل هى نفسها إنما وقفت منها على نسخة واحدة كثيرة التصحيف والتحريف مع النسخة المطبوعة فى مجموعة النبهانى الكبرى وهى أكثر تصحيفا وأعظم تحريفا فلذلك ظهر لى بعد المقابلة بينهما والتحرى التام فى استخراج

النسخة الصحيحة منهما أن أضع عليها شرحاً يقيد ألفاظها ويوضح معانيها وقد فعلت فجاء بحمد الله موفياً بالغرض ، مؤدياً للحق المفترض ، جعله الله من الأعمال الصالحة ، والمساعي الناجحة آمين

وكان للمكودى قدرة على النظم وإحسان فيه يدل على ذلك مقصورته ونظمه البسط والتعريف وغيرهما ومن ذلك أنه كان له ولد صغير فوقعت بينه وبين صبي مضاربة فغلب ولده الصبي وهو ينظر فأنشد ارتجالا :

نحن بنو مكود ٭ أهل التقى والجود
نكر فى الأعادى ٭ ككرة الأسود

ولا ننسى لغزه الطريف فى قول ابن مالك : « والهاء وقفا كلمه ولم تره » وهو أول لغز كان يطالعه الطالب القروى فيجد فى تفهمه ويعجب من براعة المكودى إعجاباً لاحد له وهو قوله :

يا قارئا الفية ابن مالك ٭ وسالكاً فى أحسن المسالك
فى أى بيت جاء من كلامه ٭ لفظ بديع الشكل فى انتظامه
حروفه أربعة تضم ٭ وإن تشأ فقل ثلاث واسم
وهو إذا نظرت فيه أجمع ٭ مركب من كلمات أربع
وصار بالتركيب بعد كلمه ٭ وقد ذكرت لفظه لتفهمه

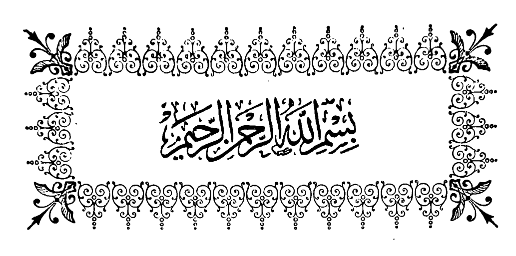
ومن شعره الربانى : —

إذا عرضت لى فى زمانى حاجة
وقد أشكلت فيها على المقاصد

وقفت بباب الله وقفة ضارع
وقلت إلهى إننى لك قاصد
ولست ترانى واقفاً عند باب من
يقول فتاه سيدى اليوم راقد

توفى المكودى رحمه الله حادى عشر شعبان سنة ٨٠٧ على الأصح الأرجح خلافاً لما فى الضوء اللامع من أنه توفى سنة ٨٠١ نبه عليه العلامة ابن الحاج ودفن بزقاق الأصدع من فاس المعروف الآن بفندق اليهودى وقبره هناك فى مسجد معروف .

عبد الله كنون الحسنى



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك يامن شرف نوع الانسان ، بالحكمة والبيان ، وخص لغة عدنان . بمعجزة القرآن ، ونصلي ونسلم على نبيك الذى بشر به الانبياء والاحبار والرهبان، الآتى بالرسالة المقصورة على رحمة الاكوان ، محمد وأهل بيته الصدور الأعيان، وصحابته غيوث الادب وليوث الطعان ، وبعد فلما كانت مقصورة العلامة المكودى من أحسن الآثار الادبية ، التى خلفتها العبقرية المغربية ، وكان قد أتى عليها النسيان أو كاد ، بسبب ماأصاب سوق الأدب فى هذه الديار من الكساد ، أحببت أن أنشرها من مدفن الاهمال ، وأبعثها من مرقدها الذى لبثت فيه الأجيال الطوال ، فكتبت عليها هذه الكلمات التى ادعى لها أنها شرح وليست بالشرح ، المسفرة عن جانب من وجوه معانيها المستنيرة كالصبح ، وأنا أسأل المولى الجليل ، أن يجزيني بقصدى الجميل ، وأن يجعلها من الاعمال النافعة ، والاتعاب غير الضائعة ، إنه على مايشاء قدير ، وبالاجابة جدير

قال الشيخ العلامة النحوى اللغوى أبو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودى الفاسى رحمه الله :

أَرَّقَنِي بَارِقٌ نَجْدٍ إِذْ سَرَى ٭ يُومِضُ مَابَيْنَ فُرَادَى وَثُنَى

أرقنى : أسهرنى ، والبارق السحاب ذو البرق . ونجد : من بلاد العرب وهو خلاف الغور . فالغور تهامة ، وكل ماارتفع عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجد وأنجد الرجل دخل فى بلاد نجد ، ولم يذكر الشعراء موضعاً أكثر مما ذكروا نجداً لأنه أطيب أرض فى بلاد العرب . وإذ : ظرف لأرقنى ، وسرى : مثل أسرى أى سار ليلا ، ويومض : من أومض البرق وكذا ومض إذا لمع لمعاً خفيفاً ولم يعترض فى نواحى الغيم ، وما : زائدة ، وبين : ظرف ليومض ، وفرادى : واحداً واحداً ، وثنى اثنين اثنين

أَهَبَّنِي إِذْ هَبَّ مِنْهُ مُوهِناً ٭ مَاسَدَّ مَابَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثَّرَى

أهبنى : أيقظنى ، والضمير فيه للبارى ، وهب : استيقظ كأنه كان نائماً لما كان ساكناً ، وكذلك تقول العرب . وقال امرؤ القيس :

٭ أصاح ترى بريقاً هب وهناً ٭

والموهن : كالوهن نحو منتصف الليل ، وما : فاعل بهب وأبهمه لتعظيم شأنه وسد : ملأ ، والثريا : عدة نجوم فى السماء ، والثرى : التراب . يعنى أن ذلك البارق أيقظه من نومه ليلا لأنه كان قوياً جداً يملأ مابين السماء والأرض ولا يخالف هذا قوله يومض لأن له أحوالا ، وجنس بين أهب وهب وبين الثريا والثرى جناس اشتقاق وإطلاق

شَمِمْتُ مِنْ أَرْجَائِهِ إِذْ شِمْتُهُ ٭ رِيحَ صَبًا أَضْوَعَ مِنْ رِيحِ الْكِبَا

شممت بالكسر أشم بالفتح هذه هى اللغة الفصيحة ، ويقال شممت بالفتح ومضارعه على هذه اللغة أشم بالضم ، والأرجاء : النواحى ، واحدها رجا . ورجاء

بالقصر والمد ، وشمته : أى البارق ، نظرت إليه أين يمطر . يقال فيه : شام البرق يشيمه من باب باع ، ومنه اللغز المشهور :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ☆ ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

وهى ماض يائى يكتب بالألف للتعمية وضميره للسقاء أى تخرق وانشق ، وشم : أمر من شام البرق وهو مقول القول ، والريح : الرائحة ، والصبا : الريح الشرقية ، وأضوع : اسم تفضيل ، من ضاع الطيب فاحت رائحته ، والكبا : بالمد وقصره للقافية : عود البخور . وفى قوله شممت وشمت جناس مطلق

فَيَالَهُ مِنْ بَارِقٍ ذَكَّرَنِى ☆ مِنَ الْهَوَى مَا كُنْتُ عَنْهُ فِى غِنَى

يا : أصلها النداء ، وهى هنا لمجرد التنبيه ، واللام للتعجب . أى فياعجبا لهذا البارق الذى جعلنى أذكر من أمر الهوى ما كنت عن ذكره . فى غنى : أى شغل

أَثَارَ شَوْقاً كَانَ مِنِّى كَامِنًا ☆ بَيْنَ ضُلُوعٍ طَالَمَا فِيهَا ثَوَى

فَكَانَ قَلْبِى الْمُجْتَوَى إِذْ هَاجَهُ ☆ كَالزَّنْدِ إِذْ أَوْرَاهُ مُورٍ فَوَرَى

أثار : هيج وأظهر ، والشوق : نزوع النفس وحركة الهوى ، ومنى : حال من الضمير فى كان ، وكامنا : أى ساكنا مختفياً ، وبين ضلوع: ظرف لكامن ، وطالما : أى كثر ، ماض مكفوف بما فلا فاعل له ، وثوى : أقام وسكن . وهذه الجملة صفة لضلوع ويعنى بها ضلوع نفسه ، وقوله : فكان قلبى هو مسبب عما قبله ، والمجتوى : المحزون من الجوى وهو الحزن وحرقة الهوى ، وكالزند : خبر كان ، والزند : العود الذى يقدح به النار ، وأوراه : أخرج ناره ، والمورى : القادح ، فورى : أى اشتعل . وفى هذه الألفاظ جناس الاشتقاق يقول ان ذلك

البارق حرك منه ساكنا وهيج له شوقاً كان كامناً فصار قلبه المحتوى مشتعلا بنار الهوى

وَسَحَّ سُحْبُ مُقْلَتِى فَمَا بَقِى ❊ نَوْعٌ مِنَ الدَّمْعِ بِهَا إلَّا هَمَى

مَا كُنتُ أَدرى قَبلَ أَنْ أُنْفِدَهُ ❊ أَنَّ الْبُكَى يَمْنَعُنِى مِنَ البُكَى

سح الماء : صبه ، وسح بنفسه : سال من فوق ، وكذا المطر والدمع وبابهما رد ، والمناسب هنا المتعدى لأنه معطوف على أثار ، والسحب بالسكون : مخفف سحب بالضم جمع سحابة ، واستعارها للدموع ، والمقلة : مجموع شحمة العين بسوادها وبياضها ، ونوع من الدمع : أى لون منه ماء أو دم ، وهمى : سال ، وأنفده : أفنيه ، والبكى بالقصر : لغة فيه . ويعنى أنه لم يكن يعرف أن وجود البكاء يكون سبباً فى عدمه حتى أنفد دموع عينيه فلم يجد مايبكى به بعد وهذا المعنى ينظر فيه إلى قول عتبة بن الحباب :

خليلى رياقد أجد بكورها ❊ وسارت إلى أرض السماوة عيرها

خليلى قد غشيت من كثرة البكى ❊ فهل عند غيرى عبرة أستعيرها

وَلَيْــلَةٍ سَبَحْتُ فى ظَلْمَائِهَا ❊ إذْ سَحَبَتْ فُضُولَ أَذْيَالِ الدُّجَى

ليلة : مجرور برب محذوفة ، وسبحت فى ظلمائها : عمت ، والكلام على الاستعارة ، وسحبت : الضمير فيه لليلة ، والسحب : الجر ، وفضول الأذيال : أطرافها ، والأذيال : جمع ذيل وهو ما يجر من الثوب إذا أسبل ، والدجى : الظلمة وليس لها أذيال ولكنه استعارها لها ورشح الاستعارة بالسحب ، ومن سبحت وسحبت جناس القلب

أَلِفْتُ فِيهَا كُلَّ مَاأَلِفْتُهُ ❊ يُوهِي القُوَى إلاَّ التَّسَلِّي وَالْكَرَى

ألفت فيها : أى تعودت من الألف وهو العادة كل ماألفيته أى وجدته من الالفاء ، ويوهى القوى : أى يضعفها وهو جمع قوة ، والتسلى : نسيان الهم والعشق ونحو ذلك ، والكرى : النوم . يقول انه فى تلك الليلة قاسى جميع الشدائد التى أضعفت قواه من السهر والحزن والبكاء وغير ذلك ولم يجد فيها راحة ولاسلواً ، ولانوماً ولا هدواً ، وفى قوله إلا التسلى والكرى تأكيدالذم بما يشبه المدح وهو نوع من البديع . ومن ألفت وألفيت جناس مطلق ويسمى بشبه الاشتقاق

طَالَتْ وَمَاأَطَلَّ نَائِى صُبْحِهَا ❊ إلاَّ بِأَغْيَا مَا لَدَيْهَا مِنْ تَوَى

قَدْ وَقَفَتْ نُجُومُهَا فى أُفْقِهَا ❊ وَقْفَةَ حَيْرَانَ طَوِيلِ الْمُشْتَكَى

الضمير فى طالت لليلة الموصوفة ، ومأطل : أى أشرف ، نائى صبحها : من إضافة الصفة للموصوف أى صبحها النائى أى البعيد ، إلا باغيا : أى غاية ، مالديها ، من توى : أى هلاك . فالاغياء بالمد وقصره الناظم للضرورة مصدر اغيا الرجل إذا بلغ الغاية فى الأمر والتوى فى الأصل هلاك المال خاصة ، يقال لاتوى عليه أى لاضياع ولاخسارة وبابه صدى ثم نقل للهلاك مطلقا . ومعنى البيت من قول امرىء القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألاانجلى ❊ بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وقوله قد وقفت نجومها : هو بيان لسبب طولها ، والأفق : الناحية من السماء ومن الأرض . والمراد هنا السماء ووقفة الحيران لاشك طويلة لأنه لايدرى وجه القصد فيبقى متردداً يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ومن طالت وأطلت ووقفت

ووقفة جناس مطلق ومشتق

جُبْتُ بِهَا وَحْدِى قَفْراً سَبسَبَا ✿ لَيْسَ بِهِ إلاَّ النِّعَامَ وَالْمَهَا
نَائِى الزَّيَازِى وَالفَلاَ دَانِى الصَّفَا ✿ خَالِى الْفَيَافِى وَالذُّرَى خَافِى الصُّوَى

جبت : أى قطعت وخرقت ، بها : أى فيها ، فالباء ظرفية بمعنى فى ، وقفراً : أى أرضاً قفراً وهى المفازة لانبات فيها ولا ماء ، والسبسب : الارض البعيدة المستوية ، والنعام : طير معروف ، والمها : بقر الوحش . والمراد أنه ليس فيه من يستأنس به من بنى آدم ، وقوله نائى الزيازى : أى بعيدها وهى جمع زيزاء أى أرض غليظة ، والفلا : جمع فلاة وهى المفازة ، ودانى الصفا : أى قريبها ، والصفا جمع صفاة وهى الصخرة الملساء ، وخالى الفيافى : ليس فيها أحد وهى جمع فيفاء أى مفازة لاماء فيها ، والذرى : جمع ذروة وهى أعلى الشيء كذروة الجمل ، وخافى الصوى : أى دارسها جمع صوة وهى علامة الطريق ، وفى الحديث : أن للاسلام صوى ومناراً كمنار الطريق ، وطابق الناظم بين نائى ودانى وجنس بين خالى وخافى جناساً لاحقاً

قَطَعْتُهُ بِبَازِلٍ ذِى مِرَّةٍ ✿ يُنَوِّعُ السَّيْرَ بِأَنْوَاعِ الْمِشَى
فَتَارَةً يَعْمَلُ فِيهَا الْخَيْزَلَى ✿ وَتَارَةً يَعْدُو عَلَيْهَا الْهَيْدَبَى

قطعته : بدل من جبت ، والبازل : الجمل بزل نابه أى طلع بدخوله فى السنة التاسعة ، وذو مرة : أى قوة ، والمشى : جمع مشية وهى هيئة الماشى ، وقوله فتارة : هو بيان لتنويعه السير ، ويعمل : أى يمشى ، والخيزلى : نوع من السير فيه تثاقل ، ويعدو : أى يجرى ، والهيدبى : نوع من السير سريع وهو بالدال والذال

كَأَنَّ رَحْلِي إذْ عَلَوْتُ ظَهْرَهُ ٭ فَوْقَ مَتِينِ الْمَتْنِ وَجْرِيِّ الْقُوَى

مِنْ وَحْشِ مَهْمَهٍ بَعِيدٍ غَوْرُهُ ٭ ذِي أَكْرُعٍ أَصْلَبَ مِنْ صُمِّ الصَّفَا

الرحل : مايجعل على ظهر الجمل كالسرج للفرس ، وعلوت : أى ركبت ، ومتين المتن : أى قوى الظهر وبين اللفظين جناس الاشتقاق ، ووجرى القوى : منسوب الى وجرة موضع بين مكة والبصرة أربعون ميلا مافيها منزل فهى مرب للوحش ولذلك بينه بقوله ، من وحش مهمه : أى قفر واسع ، بعيدغوره أى نهايته ، ذى أكرع : صفة لوحش ، والأكرع :جمع كراع بالضم وهوفى البقر والغنم كالوظيف فى الفرس والبعير وهو مستدق الساق ويذكر ويؤنث . وأصلب:أى أقوى ، وصم الصفا : الحجارة الصلدة والمعنى كأن رحلى لما ركبت هذاالجمل قد شد فوق وحش قوى الظهر والأكرع من وحوش وجرة ، فهو مدح لجمله بالنشاط وشدة الأسر وأصله للنابغة إذ يقول :

كأن رحلى وقد زال النهار بنا ٭ بذى الجليل على مستأنس وحد

من وحش وجرة موشى اكارعه ٭ طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

يَقْذِفُ بِي مِنْ فَدْفَدٍ لِفَدْفَدٍ ٭ وَيَنْتَهِي بِي مِنْ فَلاً إلَى فَلاَ

حَتَّى إذَا انْتَضَى الصَّبَاحُ نَصْلَهُ ٭ وَقَدَّ جِلْبَابَ الدَّيَاجِي فَانْفَرَى

كَأَنَّهُ كَتَائِبٌ قَدْ نَشَرَتْ ٭ رَايَاتِهَا عَلَى الآكَامِ وَالرُّبَى

أَحَسَّتِ الشُّهْبُ بِهَا فَأَجْفَلَتْ ٭ وَأَمَّتِ الْغَرْبَ وَجَدَّتْ فِي السُّرَى

إذَا أَنَا بِبُقْعَةٍ غِيطَانُهَا ٭ جَرَى بِهَا سَلْسَالُ نَهْرٍ وَانْحَنَى

كَأَنَّهُ مِعْصَمُ خَوْدٍ غَادَةٍ * عَلَى رِدَاءٍ قَدْ وَشَاهُ مَنْ وَشَى

يقذف بى : أى يرمى ، من فدفد لفدفد : أى من مفازة إلىمفازة ، وينتهى : أى يصل ، والفلا جمع فلاة وهذا كناية عن سرعة سيره ، وقوله حتى إذاانتضى الصباح نصله : وهو غاية لما قبله ،وانتضى : سل ، والنصل : حديدة السيف وهو هنا مستعار لعمود الفجر ، وقد : أى شق ، جلباب الدياجى : أىثوبهاجمع دجية وهى الظلمة ، فانفرى : أى انشق والكلام على المجاز والاستعارة كما لا يخفى وقوله كأنه هو وصف للصباح على جهة التمثيل ، والكتائب : جمع كتيبة وهى الجيش ، وراياتها : أعلامها ، والآكام جمع أكمة وهى التل . والربى : جمع ربوة وهى ماارتفع من الارض . وقوله أحست : أى شعرت . والشهب مخفف بالسكون : النجوم واحدها شهاب والضمير فى بها للكتائب المشبه بها ضوء الصباح . وأجفلت : ذعرت وفرت . وأمت : قصدت . وجدت فىالسرى : أى أسرعت السير ليلا . وقوله إذا أنا : إذا هذه للمفاجأة وهى كالفاء فى ربط جملة الشرط بالجواب . والبقعة : القطعة من الأرض . والغيطان : جمع غيط وهو المطمئن الواسع من الأرض . والسلسال : الماء العذب . وانحنى : انعطف . كأنه : أى النهر . والمعصم : موضع السوار من الساعد . والخود : الشابةالحسنة الخلق . والغادة : الناعمة اللينة . والرداء : الثوب . وقد وشاه : أى رقمه ونقشه . من وشى : أى الواشى شبه النهر فى انعطافه بين رياض الأرض بمعصم الحسناء مرسلا فوق ثوبها الموشى

وَظِلِّ رَوْضٍ رَاضَهُ صَوْبُ الحَيَا * فَاعْتَمَّ مِنْ نُورِ حُلاهُ وَاكْتَسَى

بَاكَرَهُ وَسْمِيُّهُ فَانْفَتَحَتْ * كِمَامُهُ عَنْ زَهْرٍ طَيِّبِ الشَّذَا

وظل روض : معطوف على بقعة ويصح أن تكون الواو واو رب . والروض : أرض مخضرة بأنواع النبات . وراضه ذلله ولينه من راض المهر يروضه رياضة إذا ذلله وعلمه السير . وصوب الحيا : انصباب المطر . فاعتم : أى لبس العمامة . من نور : أى زهر. حلاه : جمع حلية ما يحلى به أى يزين واستعارها للنبات كما استعار الاعتمام لتنوير رؤوس الهضاب ونحوها والاكتساء لاخضرار الأرض . وهو كبيت البوصيرى . ويقال إنه مما زيد على البردة من نظم أبى على بن الجيار الأندلسى :

وألبست حللا من سندس ولوت * عمائما برءوس الهضب والأكم

وقوله باكره : أى صبحه . والوسمى : مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات . وكمامه : جمع كمامة وهى غطاء النور . وعن زهر طيب الشذا : متعلق بانفتحت وفيه إضافة الموصوف إلى الصفة فيأول بتقدير حذف المضاف اليه أى زهر نبت طيب الشذا كقولهم حبة الحمقاء ومسجد الجامع . والشذا : الرائحة . ومن روض وراضه جناس الاشتقاق . وفى اعتم واكتسى والحلا مراعاة النظير

وَهَزَّ أَيْدِى الرِّيحِ مِنْهُ قُضُبًا * غَنَّى بِهَا الطَّيْرُ الْأَغَنُّ وَشَدَا

وَنَشَرَتْ شَمْسُ الْغَدَاةِ أَيْدَعًا * فِيهِ وَقَدْ بَلَّلَهُ قَطْرُ النَّدَى

أيدى الريح : فاعل هز . ولم يؤنث الفعل لتأنيثه لأنه جمع وكسر مجازى التأنيث والريح لا يدلها ولكنه استعارها وضمير منه للروض والجار والمجرور فى موضع الحال من قضباً . وقضباً : جمع قضيب وهى القص . وبها : أى فيها . والطير الأغن : الذى يخرج صوته بغنة . وشدا : غنى وترنم . قوله ونشرت : أى بسطت. شمس الغداة : أى الصباح . أيدعاً : أى زعفراناً والكلام على الاستعارة .

فيه : أي الروض . وقد بلله : أى نداه . والقطر : واحدة قطرة . والندى : ماينزل آخر الليل من البلل . ومن غنى والأغن جناس مطلق

أَحْسِنْ بِهِ رَوْضاً زَكِيًّا عَرْفُهُ ☆ مُعَطَّراً دَانِي الْقُطُوفِ وَالْجَنى

أحسن به : تعجب من حسنه . وروضاً : تمييز للضمير فى به . وذكياً عرفه : من ذكا الطيب يذكو ذكاء : إذاسطعت رائحته وانتشرت . والعرف : الرائحة . ومعطراً : أى مطيباً . ودانى القطوف : قريبها وهوجمع قطف بالكسر العنقود ، والجنى : ما يجتنى من الشجر

وَقَفْتُ طِرْفِى بِإِزَاءِ دُوحِهِ ☆ أَسْرَحُ طَرْفِى فِى مَبانِيهِ الْعُلَى

وَأَشْتَكِى دَهْرًا دَهَانِى صَرْفُهُ ☆ لَمَّا قَضَى بِالْبَيْنِ فِيمَا قَدْ قَضَى

وقفت : بالتشديد والتخفيف ، يقال وقفت الدابة تقف وقوفاً ، ووقفها غيرها من باب عدا . والطرف بالكسر : الكريم من الخيل . وبازاء : أى حذاء. دوحه : جمع دوحاء وهى الشجرة العظيمة . وأسرح طرفى : أى أجيله من سرح الماشية أرسلها للرعى . والطرف بفتح العين ولا يجمع لأنه فى الأصل مصدر فيكون واحدا وجمعا . قال الله تعالى : « لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » ومبانيه : أى بناياته . والعلى : جمع عليا مؤنث الأعلى . قوله وأشتكى دهرا : أى أتظلم منه . ودهانى : أصابنى بداهية . وصرفه : أى حادثه الجمع صروف . ولما : ظرف لدهانى . وقضى : حكم . والبين : الفراق . وبين طرفى وطرفى الجناس المحرف

مَنَازِلٌ كَانَتْ بِنَا أَوَاهِلاً ☆ نِلْنَا بِهَا حِينًا أَسَالِيبَ الْمُنَى

أى تلك المبانى هى منازل كانت بنا أواهلا : أى معمورات من أهل المكان ، أهولا من باب قعد ، عمر بأهله فهو آهل ، وقرية آهلة . ونلنا : أصبنا . وحينا . أى زمنا ظرف لنلنا . وأساليب : أى أنواع . والمنى : جمع منية وهى البغية

كَمْ بِتُّ فِى أَفْيَائِهَا أَجْرِى إِلَى ☆ غَايَاتِهَا بِطِرْفِ جَدٍّ مَاكَبَا

وَكَمْ سَحَبْتُ إِذْ صَحِبْتُ غِيدَهَا ☆ بِرَوْضِهَا ذَيْلَ السُّرُورِ وَالْهَنَا

كم : خبرية للتكثير . والأفياء : جمع فىء وهو ما بعد الزوال من الظل واستعاره لخفض العيش . وأجرى : من الجرى وهو العدو . وغاياتها : جمع غاية وهى النهاية . والطرف : الكريم من الخيل . والجد بالفتح : الحظ . وما كبا : ماسقط . وفى طرف الجد استعارة مرشحة بما كبا . وقوله : وكم سحبت : أى جررت . والغيد : جمع غيداء وهى المرأة الناعمة . وبروضها : أى فيه متعلق لسحبت . وذيل السرور : مفعول به وهو استعارة مرشحة بذكر السحب

وَكَمْ مَدَدْتُ مِنْ سُرَادِقٍ عَلَى ☆ ضَفَّةِ نَهْرٍ أَرِجٍ رَحْبِ الذُّرَى

وَكَمْ سَعِدْتُ إِذْ صَعِدْتُ صَهْوَةً ☆ لِمَنْزِهٍ ذِى نُزَهٍ لِمَنْ رَنَا

وَكَمْ هَصَرْتُ فِيهِ مِنْ غُصْنِ نَقًا ☆ مِنْ قَدِّ ظَبْيٍ أَهْيَفٍ طَاوِى الْحَشَا

وَكَمْ لَثَمْتُ زَهْرَ ثَغْرٍ أَشْنَبٍ ☆ مِنْ شَادِنٍ عَذْبِ الثَّنَايَا وَاللَّمَى

وَكَمْ رَشَفْتُ مِنْ رُضَابٍ سَلْسَلٍ ✻ يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَفْعَالَ الطِّلَا

مددت : أى نشرت . والسرادق : الفساط . وضفة النهر بالكسر : جانبه الجمع ضفاف . والأرج : الطيب الرائحة من أرج الطيب فاح وبابه طرب . ورحب الذرى : متسعها . وصعدت : أى علوت . والصهوة : مقعد الفارس من الفرس واستعارها للمكان العالى . والمنزه : مكان التنزه . والنزه : جمع نزهة . ورنا : نظر . وهذا البيت من قوم حازم :

وكدية الرشيد ما أكدى بها   من قنص الأنس الشريد منسما

كم قد سعدنا إذ صعدنا حولها   من سرحة لصرحة ومستوى

وهصرت : أى ضممت من هصر الغصن وبالغصن أخذ برأسه فأماله إليه . والنقا : كثيب الرمل . والكلام على التشبيه حيث بين المراد بالغصن بقوله من قد ظبي . والظبي : الغزال واستعاره لمحبوبه . والأهيف : الضامر . وطاوى الحشا : غير بطين . ولثمت : أى قبلت من باب فهم ، ولثم بالفتح لغة نقلت عن المبرد . والثغر مقدم الاسنان ويشبه بالزهر والبرد والجوهر فى الحسن والبياض والتنسيق . والأشنب : البارد . والشادن : ولد الظبي . والعذب : الحلو . والثنايا : جمع ثنية وهى أسنان مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل . واللمى : سمرة الشفة . ورشفت : مصصت . والرضاب الريق مادام فى الفم . والسلسل : العذب . والألباب : جمع لب وهو العقل . والطلاء : الخمر وهو ممدود . أى يستولى على العقل كما تستولى عليه الخمر : ومن سعدت وصعدت ومنزه ونزه جناس مضارع ومشتق

أَيَّامَ أَزْهَارُ الْمُنَى مُونِقَةٌ ✻ وَالدَّهْرُ ذُو وَجْهٍ مُنِيرٍ مُجْتَلَى

تَزُفُّ لِي مِنَ الْأَمَانِي آمِنًا ✻ عَرَائِسٌ ذَوَاتُ حَلْيٍ وَحُلَى

أيام : ظرف لما تقدمه من الأفعال . وأزهار المنى : من إضافة المشبه به إلى المشبه . ومونقة : معجبة . والدهر : الزمان وليس له وجه ولكنه استعاره لاقباله. ومنير : مضيء . ومجتلى : منظور . وقوله تزف لى : أى تهدى ، من زفت العروس إلى زوجها أهديت إليه. والأمانى : جمع أمنية وهى كالمنية البغية . وآمنا حال من لى . وعرائس : نائب فاعل تزف وهو جمع عروس ومفرده مما يستوى فيه المذكر والمؤنث وجمع المذكر عرس بالضم . وذوات: أى صاحبات .حلى: وهو مفرد الحلى ماتتزين به النساء من جوهر ومصوغ . والحلى : جمع حلية والمراد بها الصفات الحسنة وقد جرد الناظم العرائس من الأمانى وجنس بين الأمانى وآمنا جناساً مطلقا وكل ذلك من البديع

أَنِّى أُرَجِّى لِفُؤَادِى سُلْوَةً ❊ مِنْ بَعْدِ بُعْدِ الْمُونِقَاتِ الْمُجْتَلَى

انى : استبعاد ، أى كيف . أرجى : مضارع رجاه مشددا وهو والمخفف وترجاه وارتجاه سواء . والفؤاد : القلب . والسلوة : كالتسلى نسيان الهم والعشق ونحو ذلك . والمونقات المجتلى : المعجبات المنظر وهو وصف لمحذوف أى النساء المونقات ويعنى بهن حبائبه . وبين بعد وبعد جناس محرف

يَالَيْتَ شِعْرِى وَالْأَمَانِى خُدَّعٌ ❊ هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا مَاقَدْ مَضَى

وَهَلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ لِمَعْهَدٍ ❊ صَبَوْتُ فِيهِ جُلَّ أَيَّامِ الصِّبَا

إِذْ لَامَشِيبَ فَوْقَ فَوْدِى يُرْعَوَى ❊ مِنْ شَيْنِهِ وَلَا رَقِيبَ يُخْتَشَى

يا : تنبيه . وليت شعرى : أى ليتنى علمت تمن ولذلك ذيله بقوله والأمانى خدع : جمع خدعة وهو مايغر به ويغش . ويرجع الدهر : أى يعيد وهو من باب قطع

متعد بنفسه . وما : مفعوله أى العيش الذى قد مضى وأبهم للتعظيم . وهل لنا من عودة . أى رجوع لمعهد : أى مكان كنا نتعاهده أى نتردد إليه . وصبوت : أى ملت إلى الجهل والفتوة . جل : أى معظم . أيام الصبا : أى الشباب . إذلا مشيب . ظرف لصبوت والمشيب والشيب واحد . والفود : جانب الرأس مما يلى الأذن إلى الامام وهما فودان . ويرعوى : أى يرجع بالبناء للمفعول . والمراد أرجع أنا وأقلع عن الصبوة وجهالة الفتوة . من شينه : أى من أجل شينه فمن تعليلية والشين ضد الزين . والرقيب : الحافظ والمنتظر ويطلقه الشعراء والمحبون على المزاحم الذى يترصد الحبيبين ويتسبب فى إقلاقهما وعدم تلاقيهما . ويختشى : يخاف

أَيَّامُ أُنْسٍ أَسْرَعَتْ فِى خَطْوِهَا ☼ كَذَا ٱللَّذَاذَاتُ سَرِيعَاتُ ٱلْخُطَا

أى تلك أيام أنس والأنس : ضد الوحشة . والخطو : المشى ، مصدر خطا يخطو من باب عدا : واللذاذات : جمع لذاذة مصدر لذ الشىء وجده لذيذاً وبابه سلم ، ولذاذاً أيضا . والخطا : جمع خطوة وهى مابين الرجلين عند المشى ، أى أن تلك الأيام لما كانت أيام أنس وسرور ، ولذة وحبور ، أسرعت بالذهاب ، وبادر ظلها الى الانقلاب ، على العكس من أيام الحزن والبث ، الطويلة الاقامة واللبث . وهذا كثير فى كلام الشعراء . ومنه قوله :

ليلى وليلى نفى نومى اختلافهما ☼ حتى لقد صيرانى فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت ☼ بالوصل ليلى وإن جادت به بخلا

وجنس الناظم بين أسرعت وسريعات وخطوها والخطا جناس الاشتقاق وذيل المصراع الأول بالثانى تذييلا يجرى مجرى المثل

يَاقَلْبُ لَا تَجزَعْ فَأَنْتَ قُلَّبٌ ☆ وَأَنْتَ عندى ذُو دَهَاء وَحجَى

فَلَا يَهُولَنَّكَ صَرفُ الدَّهْرُ فى ☆ مَاقَدْ جَنَى عَلَيكَ من خَطْبِ النَّوَى

فَكُلُّ وَصْلٍ يَنْتَهِى لفُرْقَة ☆ تَفْرِى العُرَى منْهُ وَإنْ طَالَ المَدَى

ياقلب : منادى مضاف فى التقدير إلى ياء المتكلم أى ياقلبي . ولا تجزع : لاتقلق . وقلب : كثير التقلب لاتستقر على حال . ومنه قول الشاعر:

وماسمى الانسان إلا لأنسه ولا القلب إلا أنه يتقلب

واذا كان كذلك فلا داعى للجزع لاسيما وأنت عندى أى فى رأيى . ذو دهاء : أى ذكاء . وحجى : أى عقل . فلا يهولنك : أى لايفزعنك من هاله الشيء يهوله من باب قال . وصرف الدهر : حادثه . وفيما قد اجتنى : أى اجترم حال من صرف الدهر ، أوفى سببية مثلها فى قوله عليه السلام : « دخلت امرأة النار فى هرة » ومن خطب النوى : بيان لما . والخطب الشدة . والنوى البعد . فكل وصل : الفاء تعليلية . والوصل : الاجتماع . ينتهى لفرقة : أى غايته ذلك . وجملة تفرى : أى تقطع صفة لفرقة . والعرى : جمع عروة وهى محل الاستمساك بالشيء واستعيرت هنا لأسباب الوصل الوثيقة . والمدى : الغاية . والمعنى لايهولنك ذلك فلكل اجتماع من خليلين فرقة وإن طالت بينهما مدة العلقة فالبيت السابق مرهون لهذا

وَالدَّهْرُ فى صُرُوفه ذُو عَجَبٍ ☆ يُدْنى بهَا كُلَّ جَديدٍ للْبِلَى

يُبْكِى إِذَا أَضْحَكَ يَوماً أَهْلَهُ ☆ وَيُعقبُ الكَرْبَ إذَا العَيْشُ صَفَا

صروف الدهر : حوادثه . ويدنى : يقرب . وإسناده إلى الدهر مجاز

كالأفعال التى بعده . وأهله يتنازعه : يبكى وأضحك على أنه مفعول لهما . ويعقب : أى يورث الكرب والغم . وإذا : ظرف ليعقب . أى إنه لا يصفو فيه عيش لجديده إلى بلى والسرور يعقبه الحزن وهذا على عادة الشعراء فى ذم الدهر وإلا فان الكل من الله ذلك تقدير العزيز العليم . وطابق الناظم بين جديد وبلى ويبكى وأضحك والكرب وصفا

كَمْ مَلِكٍ فى نَجْدَةٍ فى مُلْكِهِ ❊ يَضِيقُ عَنْ جُنُودِهِ رَحْبُ الفَضَا

قَدْ مَلَكَ الأَرْضَ وَرَاضَ صَعْبَهَا ❊ وَشَيَّدَ القُصُورَ فِيهَا وَالبُنَى

أَخْنَى عَلَيْــهِ دَهْرُهُ وَعَاقَهُ ❊ عَنْ كُلِّ مَاشَيَّدَهُ وَمَا بَنَى

كم : خبرية للتكثير . والنجدة : الشجاعة . والجنود : العساكر . والرحب : الواسع . والفضا : مقصور ضرورة الساحة وما اتسع من الأرض . وراض : ذلل وسهل . والصعب : خلاف السهل . وشيد : رفع . والبنى : بضم أوله وكسره مع القصر جمع بنية ، وبنية مابنيته من دار ونحوها . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . وعاقه : حبسه وصرفه وبابه قال . والمعنى أن الدهر أهلك كثيراً من الملوك الذين كانوا ذوى سلطان قاهر . يتصرفون فى الدنيا تصرف المالك القادر . فأدال دولتهم وأذلهم ، وسلبهم ماملكوا وخذلهم ، فليعتبر العاقل بحالهم وما صاروا إليه بعد ملكهم والعز الذى كانوا عليه

أَيْنَ الأُلَى سَادُوا وَسَاسُوا مُلْكَهُمْ ❊ كَمِثْلِ سَاسَانَ وَعَادٍ وَسَبَا

دَارَتْ عَــلَى أَدْؤُرِهِمْ دَوَائِرٌ ❊ وَجُرِّعُوا كَأْسَ الْمَنَايَا وَالرَّدَى

الألى : جمع كالذين . وسادوا صاروا سادة . وساسوا ملكهم : دبروه .

وساسان أبو الملوك الساسانية من ملوك فارس . وعاد : قبيلة من العرب وهم الذين أخبر الله عن شدتهم وبطشهم ومابنوه من الأبنية المشيدة التى تدعى على مرور الزمن بالعادية كما فى قوله عز وجل : « أتبنون بكل ريع » الآية . وسبا : قبيلة من العرب أيضاً كانت تسكن بلاد اليمن وهم الذين ذكرهم الله فى قوله « لقد كان لسبأ فى مساكنهم » الآية . قوله دارت علي أدؤرهم : جمع دار ، والدوائر جمع دائرة : وهى النائبة من نوائب الدهر ، أى نزلت بهم النوائب . وجرعوا : أى سقوا علي الكسرة ماء المنايا . والردى : أى الموت والهلاك . وجنس الناظم بين سادوا وساسوا ، وبين ساسوا وساسان ، وبين دارت وأدؤر ودوائر ، جناساً لاحقاً ومطلقاً ومشتقاً

وَأَيْنَ بَانِى إرَمٍ وَجَيْشُهُ ✻ صَارُوا رَمِيماً تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى

بانى إرم : هو شداد بن عاد أبى قبيلة عاد السابق ذكرها . وإرم مدينة هائلة يقال انه بناها علي مثال الجنة فى زعمه وهى التى ذكرها الله عز وجل فى القرآن فقال : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد » الآية . وصحح الطبرى أنها اسم قبيلة من عاد وأيده ابن خلدون وكلام الناظم إنما يجرى على المشهور . وجيشه : جنده . وصاروا رميما : أى عظاماً بالية . وأطباق الثرى : طبقات الأرض من التراب

وَمُلْكُ كِسْرَى حِينَ تَمَّ أَيْدُهُ ✻ أَوْهَتْهُ أَحْدَاثُ الزَّمَانِ فَوَهَى

كسرى : لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، والجمع أكاسرة ، ومن أعظمهم وأشهرهم بهذا اللقب كسرى أنو شروان وكان ملكه ثمانياً وأربعين سنة . وتم أيده كملت قوته . وأوهته : أضعفته . أحداث الليالى : أى مصائب الزمان .

فوهى : فضعف . وهذا الشعر مقتبس من حازم إذ يقول :

بنصر فج المجلس الأعلى الذى   أوهنه أحداث الزمان فوهى

وَلَمْ تُقْصِرْ عَنْ مُلُوكِ قَيصَرٍ ⁂ حَتَّى أَبَادَتْهُمْ وَطَاحُوا فِى الْبَرَى

لم تقصر : لم تضعف ، وضميره لأحداث الليالى . وعن ملوك قيصر : أى من الملوك الملقبين بقيصر وهم ملوك الروم فأضاف ملوك على معنى الملقبين الى قيصر على معنى اللقب وبذلك تغاير معناهما فصحت الاضافة وجمع قيصر قياصرة . وحتى ابادتهم : غاية لقوله لم تقصر . والأبادة : الأهلاك . وطاحوا : هلكوا وسقطوا فى البرى : أى التراب

وَلَمْ تَدَعْ مِنْ مُلْكِ غَسَّانَ فَتًى ⁂ سَامِى الْمَعَالِى فِى ذُرَاهَا فَسَمَا

لم تدع : لم تترك . ومن ملك غسان . أى من أهل ملكهم فهو على حذف مضاف . وفتى : مفعول تدع . وغسان : قبيلة كبيرة من الأزد وردوا ماء غسان فى اليمن فسموا به ، ثم كان منهم الملوك الغسانية فى الشام استقر ملكهم فيه نحو أربعة قرون قبل الأسلام . وسامى المعالى : غالبها فى السمو وهى جمع معلاة بمعنى الرفعة والشرف وفى ذراها أى فى مراتبها العالية وهى استعارة . فسما : أى فغلب. والمراد وصفه بأنه بلغ الغاية فى المجد والرفعة

وَكَمْ مُلُوكٍ قَهَرُوا بِمُلْكِهِمْ ⁂ أُسْدَ الشَّرَى صَارُوا حَدِيثًا فِى الدُّنَى

قهروا : غلبوا . والأسد : جمع أسد . والشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل . والدنى جمع دنيا . أى أن الملوك الذين هلكوا وصاروا حديثاً لمن بعدهم بعد أن كان ذوى سلطان لا يغلب وقهروا أعداءهم الأقوياء كأسد الشرى

هم كثير تعد منهم ولا تعدهم فلنكف عن ذكرهم وكفى بحال من ذكر منهم عبرة لمن يعتبر ولذا قال :

هٰذِي هِيَ ٱلدُّنْيَا فَلَا يَغُرُّكَ مَا ✡ تَرَاهُ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ وَهَنَا

فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنْ عُرَاهَا وَٱرْمِهَا ✡ وَٱدْرَأْ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلنُّهَى

هذى هى الدنيا : أى ما ذكرته من تقلب الدهر بأهله ، وتبدل خصبه بمحله هو حالة الدنيا . فلا يغررك : أى فلا يخدعك ما تراه فيها من هناء وسرور فان الدائرة تدور . فانفض يديك من عراها : أى لا تستمسك بشىء منها . وارمها : أى انبذها . وأدرأ بها : ادفع العذاب عن نفسك لأنها نعمت المطية إلى الآخرة . إن كنت من أهل النهى : جمع نهية ، وهى العقل لأنه ينهى صاحبه عن القبيح

وَظُنَّ بِٱلْإِخْوَانِ شَرًّا وَٱخْشَهُمْ ✡ وَصَيِّرِ ٱلْأَحْبَابَ مِنْهُمْ كَٱلْعِدَا

وَإِنْ جَهِلْتَ حَالَهُمْ فَاخْبُرْ فَمَا ✡ يَخْبُرُ قَوْماً أَحَدٌ إِلَّا قَلَا

ظن بالاخوان شراً : أى لا تثق لما يظهرونه لك من المحبة ومايرغبونك فيه من الصحبة . واخشهم : أى خفهم على نفسك فان غالبهم أعداء فى زى أصدقاء . ولذلك قال : وصير الأحباب منهم كالعدا : أى اجعلهم مثلهم فى عدم الاطمئنان إليهم فانك تسلم من إذايتهم . والعدا : بالكسر الأعداء كالعداة بالضم . وإن جهلت حالهم : أى لم تتبين أمر ما يدعونه عليك من الاخلاص . فاخبر : أى جرب ، من خبره يخبره ، إذا بلاه واختبره وبابه نصر . فما يخبر قوما أحد : أى ما يجربهم . إلا قلاهم : أى أبغضهم . وقلا من باب نصر أيضا ، وهذا من قول أبى الدرداء رضى الله عنه : وجدت الناس أخبر تقله

وَسِرَّكَ اُكْتُمْهُ عَنِ الْخَلْقِ وَلَا ۞ تُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَداً مِنَ الْوَرَى

سرك : منصوب بفعل محذوف يفسره اكتمه من باب الاشتغال . والسر مايكتمه الانسان فى نفسه . والكتم : الأخفاء . والخلق : الناس. وهو فى الأصل مصدر . والورى : الناس أيضاً . يقول اكتم سرك عن الجميع ولا تطلع عليه قريباً ولا بعيداً وذلك لأن السر إذا جاوز صاحبه ضاع

وَاقْنَعْ عَلَى عِزٍّ بِمَا يَكْفِي وَلَا ۞ تَحْرِصْ فَإنَّ الحِرْصَ ذُلٌّ لِلْفَتَى

اقنع : أمر من قنع يقنع إذا رضى بقسمه وبابه سلم فهو قنع وقنوع . وبما يكفى: متعلق به . وعلى عز : أى معه ولاتحرص . الحرص : الجشع والطمع وبابه ضرب والمكسور اسم . يقول اقنع بما قسم لك من الرزق ولا تحرص على مافاتك منه فان القناعة عز والحرص ذل

وَسَايِرِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ ۞ وَسَاعِدِ الْمُسْعِدَ وَاحْمِلْ مَنْ جَفَا

وَصَافِهِمْ وَإِنْ أَسَاؤُا نِيَّةً ۞ فَأَنَّمَا لِكُلِّ مَرْءٍ مَا نَوَى

ساير الناس : أى عاملهم . على أخلاقهم : أى بمقتضاها فأكرم الكريم وأهن اللئيم . وساعد المسعد : أى أعن المعين . واحمل من جفا : أى اصبر عليه وتجاوز عنه . والجفاء : الغلظة والفظاظة . وصافهم : أى اخلص لهم . وإن أساءوا : مبالغة فى طلب المصافاة . فانما لكل مرء مانوى : أى فانما يجازى الانسان بحسب نيته إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهو اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » وهذا ليس مخالفاً لما تقدم من قوله وظن بالاخوان شراً فان ذلك فيمن يتصل بالانسان ويدعى عليه

المودة وهو أخذ بالحزم وهذا فى الناس عموما وهو واجب دينى وأمر عزم

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ لِوُدِّهِ ۞ لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ عَلَى الْحِقْدِ انْطَوَى

يَبَشُّ فى وَجْهِكَ إِنْ لَاقَيْتَهُ ۞ وَإِنْ تَغِبْ يَغْتَبْكَ فى كُلِّ مَلَا

يُذِيعُ مَا يَرَاهُ مِنْ قُبْحٍ وَإِنْ ۞ رَأَى جَمِيلاً مِنْكَ أَخْفَى مَا رَأَى

فَاتْرُكْ إِخَا مَنْ هَذِهِ شِيمَتُهُ ۞ وَاهْجُرْهُ فى اللّٰهِ وَدَعْهُ وَالْعَمَى

الود : الحب . والحقد : البغض . وانطوى علي الشيء : اشتمل عليه ، أى كثير من أدعياء الصداقة من يظهر وده ويخفى حقده . يبش فى وجهك : أى يضحك يعنى والبشاشة علامة الود . وإن تغب يغتبك :أى يذكرك بالسوء . فى كل ملأ : أى جماعة من الناس والملأ مهموز وخففه للقافية . يذيع ما يراه من قبح : أى ينشره ولا يستره وهذا البيت من قول قعنب بن أم صاحب :

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحاً ... منى وما يأذنوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

فاترك إخا : أى صداقة . من هذه شيمته : أى خلقه . وإخا بالكسر مصدر آخاه مؤاخاة وإخاء فهو ممدود ولكنه قصره ضرورة . واهجره فى : أى قاطعه لوجه تعالى لا لغرض نفسك . ودعه والعمى : أى معه والمراد به عمى بصيرته لاسوداد سريرته . وجنس الناظم بين تغب ويغتبك بشبه الاشتقاق

وَلَا تَهَابَنَّ ذَوِى الْجَهْلِ وَإِنْ ۞ رَاقَكَ مِنْهُمْ مُنْتَدًى وَمُنْتَمَى

كَمْ مِنْ أُنَاسٍ كَالْأَنَاسِىِّ مَنْظَراً ۞ فَهُمْ إِذاً أَشْبَهُ شَىْءٍ بِالدُّمَى

لا تهابن : من الهيبة وهى الاجلال والمخافة . وراقك : أعجبك . والمنتدى :

المجلس . والمنتمى : المنتسب . أى لا تبال بأهل الجهل وإن كانوا من ذوى الهيئات ، وأبناء البيوتات ، فكم من أناس كالأناسى : جمع إنسى أى ليسوا منهم ولكنهم مثلهم . منظراً : أى فيما ترى العين . فهم إذاً : الفاء للسببية وإذاً للمكافأة والجواب أى إذاً هم بسبب ذلك . أشبه الأشياء بالدمى : جمع دمية وهى الصورة من الرخام والعاج ونحوهما . وجنس الناظم بين منتدى ومنتمى وأناس وأناسى جناساً لاحقاً ومشتقاً

وَكَمْ أُنَاسٍ فِى الدُّنَى لَيسَ لَهُمْ ⋆ مِنَ الْعُلَا إِلَّا الْأَسَامِى وَالْكُنَى

يَرَوْنَ أَنَّ الْمَجْدُ وَالعَلْيَاءَ فِى ⋆ مَا يُقْتَنَى مِنْ أُبَّهَاتٍ وَكُسَا

وكم أناس : أى كثير منهم . فى الدنى : جمع دنيا . ليس لهم من العلا : أى المجد والشرف . إلا الأسامى : جمع الأسماء الذى هو جمع اسم . والكنى : جمع كنية وهى ما صدرت بأب أو أم كأبى عبد الله وأم كلثوم ، وهى عند العرب تدل على التعظيم . يعنى ليس لهم إلا الأسامى الشريفة والكنى الرفيعة . يرون : أى يعتقدون . والمجد : العز والرفعة . والعلياء : الشرف ومايقتنى : أى يكتسب ويتخذ . والأبهات : جمع أبهة وهى العظمة . والكسا : جمع كسوة . وهذا المعنى كقول ابن أبى شرف فى ملوك الطوائف :

مما يزهد فى أرض أندلس
أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكى انتفاضاً صورة الأسد

لَيسَ الْعُلَا وَالْمَجْدُ إِلَّا لامْرِىءٍ ۞ رَنَا إِلَى أُفْقِ الْمَعَالِى وَارْتَقَى
وَصَمَّمَ الْعَزْمَ عَلَى تَرْكِ الْهَوَى ۞ وَجَدَّ فِى طِلَابِ مَا يُجْدِى الثَّنَا
وَانْتَعَلَ الشُّهْبَ الدَّرَارِى رِفْعَةً ۞ وَامْتَهَدَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ وَاعْتَلَى

هذا رد على ما يراه أولئك القوم القصار النظر فى العلا والشرف والرفعة من أنها هى الأسماء الحسنة والمظاهر المستحسنة من غير جد ولا تعب ولا كد ولا نصب . ورنا إلى أفق المعالى : أى نظر وهو كناية عن علو الهمة وسمو النفس . وارتقى : اعتلى . ومن أفق المعالى : استعارة مرشحة بارتقى . قوله وصمم العزم : التصميم ربط القلب على فعل الشىء والثبات عليه . والعزم : النية والأمر الجازم . والهوى : المراد به هوى النفس المذموم وهو المذكور فى قوله تعالى : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه » . وجد : أى اجتهد . وفى طلاب : أى طلب . ما يجدى الثنا : أى يعطيه . وانتعل الشهب : أى اتخذها نعالا . والشهب : الكواكب والدرارى الثاقبة المضيئة : جمع درى بتثليث الدال . ورفعة : مفعول لأجله . أى انتعل الشهب لأجل الرفعة . وامتهد البدر : أى صيره مهاداً أى فراشاً . والكلام فى صدر البيت وعجزه على الاستعارة كما لا يخفى ولما ذكر من يستحق أن ينال العلا بينها ما هى فقال :

وَمَا الْمَعَالِى غَيْرَ عِلْمٍ رَائِقٍ ۞ يُصَيِّرُ الْمَرْءَ عَلَى أَعْلَى السُّهَا

أى إن المعالى محصورة فى العلم فمن لم يحصله فليس له منها حظ . ورائق : من راقه الشىء أعجبه ، وراق الشراب صفا وبابها قال . ويصير المرء : أى يجعله . والسها : كوكب فى السماء وهو خفى يمتحن الناس به أبصارهم والمعنى على المجاز

والاستعارة . وشاهده فى قوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

طُوبَى لِمَنْ بَرَّزَ فى مَيْدَانه ✧ وَابْتَدَرَ السَّبْقَ لَدَيْه وَجَرَى

وَجَدَّ فيه وَحَمَاهُ جَدُّهُ ✧ حَتَّى ارْتَقَى مِنْه بِأَسْنَى مُرْتَقَى

وَدَانَ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ وَالْعُلاَ ✧ وَازْدَانَ بِالْخُلْقِ الْجَمِيلِ وَالتُّقَى

طوبى : فعل من الطيب قلبوا الياء واواً لمكان الضمة قبلها ، وهى أيضاً اسم شجرة فى الجنة ويقال طوبى لك وطوباك . قال الله تعالى : « طوبى لهم وحسن مآب » . وبرز : فاق علي أصحابه . والميدان : حلبة السباق . وابتدر : بادر . ولديه : أى لدى ميدان العلم . وجد : اجتهد . وحماه : دفع عنه . والجد : الحظ . وبأسنى مرتقى أى بأرفع مكان . والباء ظرفية . والكلام فى البيتين على الاستعارة . ودان بالدين القويم : أى تعبد به . والدين القويم : غير المعوج وهو الاسلام . وازدان : افتعل من الزين أبدلت تاؤه دالاً . والخلق بالسكون مخفف السجية والجميل : الحسن . والتقى : التوقى من المخالفات كالتقوى . وجنس الناظم بين جد وجده ، وارتقى ومرتقى ، ودان والدين وازدان جناس الاشتقاق وشبهه

لله قَوْمٌ قَمَعُوا أَنْفُسَهُمْ ✧ عَنِ الْهَوَى إِذْ قَرَعُوا بَابَ الرِّضَا

عَابُوا نَفِيسَ الدُّرِّ وَالْعِقْيَانِ إِذْ ✧ بَاعُوا نُفُوسَهُمْ بِأَنْفَسِ عُلاَ

لله : كلمة تعجب وقسم . وقمعوا : زجروا . وقرعوا : طرقوا . والنفيس : الغالى . والدر : جمع درة وهى اللؤلؤة . والعقيان : الذهب الخالص . يقول إن قوماً فطموا أنفسهم عن الشهوات ، وراضوها على الطاعات ، فلم يبالوا بالدنيا وزخرفها ، ودرها وصدفها ، لهم القوم الذين عرفوا النفس على حقيقتها

فغالوا بقيمتها ، ولم يبيعوها بأعراض الدنيا الدنية ، وما رضوا لها إلا مراتب العلا السنية ، فما أشرف قدرهم ، وأعلى خطرهم . وجنس الناظم بين قمعوا وقرعوا وعابوا وباعوا جناساً لاحقاً ومقلوباً

وَأَنْت يا نَفْسِ شُغِلْتِ بِالْهَوَى ۞ حَتَّى هَوَيْتِ مِنْهُ فِى قَعْرِ هُوَى

فَرَّطْتُ إذْ أَفْرَطْتُ فِى اكْتِسَابِ مَا ۞ يُرْدِى وَلَمْ أَسْلُكْ سَبِيلَ مَنْ نَجَا

هذا خطاب لنفسه ونداء لها على سبيل التوبيخ والتقريع ، بقوله شغلت بالهوى : أى بالأغراض السافلة والشهوات الباطلة . حتى هويت : أى سقطت . فى قعر هوى : أى عمقها . والهوى جمع هوة وهى الحفرة أو الوهدة العميقة . ثم التفت الناظم من الخطاب إلى التكلم . فقال : فرطت إذ أفرطت ، التفريط : التقصير فى الأمر وتضييعه . والافراط : الاسراف فيه ومجاوزة الحد وكلاهما مذموم كما قال الشاعر :

۞ كلا طرفى قصد الأمور ذميم ۞

ومايردى : مايهلك . يريد فرطت فى طلب ماينجى إذ أفرطت فى اكتساب مايردى لأن الافراط فى شيء داعية التفريط فى غيره . وقد جنس الناظم بين الهوى وهويت وهوى ، وبين فرطت وأفرطت جناس الاشتقاق وشبهه

كَمْ خُضْتُ فِى بَحْرِ الْمَعَاصِى جَامِحاً ۞ لاَ أَرْعَوِى نُصْحاً لِلْحَىِّ مَنْ لَحَى

وَكَمْ تَعِبْتُ إذْ تَبِعْتُ أَمَلاً ۞ قَدِ انْقَضَتْ لَذَّاتُهُ وَمَا انْقَضَى

خضت : غصت . وبحر المعاصى : من الاضافة التشبيهية أى المعاصى الشبيهة بالبحر أو هو استعارة فذكر الخوض ترشيح . وجامحاً : مشتداً مسرعا من جمح

الفرس غلب صاحبه ، وجمح بمعنى أسرع . ومنه قوله تعالى « وهم يجمحون »
وأرعوى : أكف وأرجع . ونصحاً : مفعول لأجله مقدم على عامله وهو لحى .
واللحى : اللوم . تقول منه لحاه يلحاه لحياً فهو ملحى . وتعبت : من التعب
وهو المشقة . والأمل : الرجاء . وانقضت : ذهبت . أى أننى تلبست بالمعاصى
كثيراً وجريت مع المخالفات مرخى العنان فلم أسمع فيها نصحاً ولم أقبل عليها لوماً
وكذلك تبعت الأمل الكذوب ، وانخدعت بما يمنى به النفس من كل أمر
محبوب ، وهاهو قد انقضى وذهبت لذاته ، وما انقضى ولا ذهبت مسراته .
وبين تعبت وتبعت جناس القلب

وَاحَسْرَتَا قَدْ مَرَّ عُمْرِى ضَائِعًا * بَيْنَ خُزَعْبلاَتِ لَهْوٍ وَهَوَى

هلَكْتُ فِى الْهُلاَّكِ لَوْلاَ أَنَّنِى * ذَخَرْتُ ذُخْرًا أَرْتَجِى بِهِ الْهُدَى

وَلَيْسَ ذُخْرِى غَيْرَ مَدْحِ أَحْمَدَ * سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرًّا وَلاَسِيَّمَا

وا : للنداء فى الندبة : والحسرة . التلهف والندم والألف للندبة . ومر :
ذهب . والخزعبلات : جمع خزعبلة ، وهى الأضحوكة والشىء الباطل . واللهو :
اللعب . وهلكت فى الهلاك : أى مت شر ميتة معهم وهو من قولهم فلان هالك
فى الهوالك . ولولا : حرف امتناع لوجود أى امتنع الهلاك لوجود الذخر وهو
مايخبأه الانسان لوقت الحاجة ، تقول منه ذخر يذخر بالفتح فيهما ذخراً :
بالضم وادخره مثله . وأرتجى : أؤمل . والهدى : الرشاد . وطراً : أى جميعاً
وهو لفظ لازم للنصب على الحال يتحسر على ما مضى من عمره فى باطل وغير
باطل ، ويعلم أنه هالك فى الهالكين ، لولا مايرجوه من بركة مدح سيد العالمين ،

وفى نسخة سيد أهل الأرض طراً وكنى وهو راجع للذخر أى كنى ذلك ذخراً فانه كما قال البوصيرى :

ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه   وجدته لخلاصى خير ملتزم

وهنا تخلص الناظم لمقصوده وهو مدح النبى ﷺ فقال :

مُحَمَّدٌ أَسْمَى ٱلنَّبِيِّينَ عُلاً * وَمَنْ كَأَحْمَدَ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَى

أَكْرَمُ مَبْعُوثٍ لِخَيْرِ أُمَّةٍ * فَضَّلَهَا ٱللهُ بِهِ عَلَى ٱلْوَرَى

محمد : أشهر أسمائه ﷺ وهو منقول باسم مفعول حمد المضعف للدلالة على كثرة حمده . وأسمى : أعلى . وعلا : تميز لأسمى أى أكثرهم رفعة معنوية وحسية ليلة الأسراء . ومن كأحمد : استفهام إنكارى معناه النفى أى لا أحد مثله . والمصطفى : المختار . أكرم مبعوث : أى مرسل لخير أمة أى للأمة التى هى أفضل الأمم وهى أمة الأسلام سواء كانت عرباً أو عجما . قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فضلها الله به : أى أولاها بسببه . فضلا على الورى : أى الخلق .

فَتَوْرَاةُ مُوسَى قَدْ أَتَتْ بِبَعْثِهِ * وَصَدَّقَ ٱلْأَنْجِيلُ مَا فِيهَا أَتَى

قَدْ أَكْثَرَتْ فِى كُتْبِهَا ٱلْأَحْبَارُ مِنْ * مَا أَخْبَرَتْ عَنْ فَضْلِهِ فِيمَا مَضَى

قد أتت ببعثه : أى بشرت به . والكتب : جمع كتاب مخفف بالسكون . والأحبار : جمع حبر وهو العالم ويغلب على علماء اليهود . يشير الناظر إلى ما ثبت فى التوراة والانجيل من الأخبار برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كقول التوراة جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعه

جماعة من الصالحين (تثنية ص ٣٣ : ٢) ومجيئه من سيناء إنزال التوراة فيه على موسى وتكليمه إياه وإشراقه من ساعير إرساله عيسى عليه السلام منها وهى جبال الروم من آدوم واستعلامه من جبال فاران بعثه محمداً صلى الله عليه وسلم منها . وفاران : هى مكة بدليل التوراة نفسها قال فيها إن الله أسكن هاجر وابنها اسماعيل فاران (تكوين ص ٢١ : ٢١) ومما جاء فى الانجيل البارقليط لايجيئكم مالم أذهب ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ولكنه مما يسمع (يوحنا ص ١٦ : ٦) والبارقليط هو نبينا صلى الله عليه وسلم كما هو مبين بالأدلة وأما إخبار الأحبار به فمذكور فى كتب السير وهو كثير وهم مستندون فى الأخبار به إلى نصوص التوراة وغيرها . وهذان البيتان مما جارى الناظم فيه الشقراطيسية ونصها

توراة موسى أتت عنه فصدقها انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت عما رأوا ورووا فى الأعصر الأول

وَأَشْرَقَتْ بِنُورِهِ الْآفَاقُ فِى ✡ مَوْلِدِهِ وَشَرِقَتْ مِنْهُ اللُّهَا
فَمُلْكُ كِسْرَى قَدْ تَدَاعَى صَرْحُهُ ✡ وَانْقَضَّتِ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ وَهَوَى
وَفَارِسٌ قَدْ خَمَدَتْ نِيرَانُهَا ✡ وَأَلْفَ عَامٍ سُعِّرَتْ مِمَّا خَلَا
وَغَارَ نَهْرُ سَاوَةٍ فَسَاءَهَا ✡ مَا لَقِيَتْ مِنْ ظَمَأٍ وَمِنْ صَدَى

يشير فى هذه الأبيات إلى الأرهاصات التى ظهرت فى زمن ميلاده ﷺ بقوله أشرقت : أى أضاءت . والآفاق : جمع أفق وهو الناحية من الأرض والسماء وجاء فى الحديث الثابت « ورأت أمى حين ولدتنى كأنه خرج منها نور أضاءت

له قصور بصرى من أرض الشام . وبصرى : هى مدينة حوران . قوله وشرقت : أى غصت . منه : أى من أجله . اللها : جمع لهاة وهى اللحمة التى فى سقف الحلق كنى بذلك عن شدة الغيظ الذى حصل للكفار بمولده عليه السلام . فملك كسرى قد تداعى : أى سقط . والصرح : القصر . واستعاره للملك . وانقضت : سقطت . والأرجاء : النواحى . ومنه : حال من الأرجاء . وهوى : سقط . وقد ورى الناظم فى هذا البيت بأمر انصداع ايوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرافة منه وكان من أعاجيب الأبنية إحكاما واتقانا بحيث كان يظن أنه لاتهده إلا نفخة الصور وذلك يوم ميلاده ﷺ كما رواه هو ومابعده البيهقى وأبو نعيم وابن عساكر وغيرهم من المحدثين والأخباريين . قوله وفارس : هم أمة معلومة وكانوا قبل الأسلام مجوساً يعبدون النار . قد خمدت : أى انطفئت نيرانها . وألف عام سعرت : أى والحال أنها قد سعرت أى أوقدت ألف عام . فيما خلا : أى مضى . لم تنطفأ خلالها قط حتى أحالت عادتهم انطفائها فلما خمدت علموا أن ذلك لأمر حدث . وغار : أى جف . ونهر ساوة : بحيرة كانت فى بلاد فارس بمكان هذه المدينة كثيرة الماء طولها فيما قيل ستة أميال وعرضها كذلك فغورها كان عندهم من قبيل المحال . قوله فساءها : أى ساوة بمعنى أهلها فهو مجاز . ومالقيت : أى وجدت . من ظمأ ومن صدى : أى عطش . وجنس الناظم بين اشرقت وشرقت وساوة وساءها . جناس شبه الأشتقاق والبيت الأخير كقول البوصيرى :

وساء ساوة ان غاضت بحيرتها

ورد واردها بالغيظ حين ظمى

وَخَرَّتِ الْأَوْثَانُ يَوْمَ بَعْثِهِ ❊ وَظَهَرَ الذُّلُّ عَلَيْهَا وَبَدَا

وَانْبَعَثَتْ ثَوَاقِبُ الشُّهْبِ تُرَى ❊ مُحْرِقَةً لِلْجِنِّ فِى جَوِّ السَّمَا

خرت : سقطت . والأوثان : جمع وثن وهو الصنم . وظهر الذل عليها : أى علامته وهى السقوط . وبدأ : ظهر . وكان ذلك فى المروى ليلة ميلاده صلى الله عليه وسلم . وروى بعضهم وقوعه يوم الحمل به . والناظم جعله يوم بعثه وهي رواية لابي نعيم والواقدي على أن له سلفاً فى ذلك وهو الشقراطيسى حيث يقول :

خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت ثواقب الشهب ترمى الجن بالشعل

قوله وانبعثت : أى اندفعت . وأسرعت ثواقب الشهب : من اضافة الصفة للموصوف . والشهب : جمع شهاب وهو النجم وشعلة النار الساطعة . والثواقب : جمع ثاقب من ثقب الكوكب أضاء . والجو : ما بين السماء والأرض والمعنى أن الشهب اندفعت وأسرعت بقذف الجن يوم بعثه صلى الله عليه وسلم طرداً لها من السماء حيث كانت تحوم حولها لاستراق السمع كما قال تعالى : « وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً »

وَكَمْ لَهُ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ❊ وَمُعْجِزَاتٍ مِثْلِ إِشْرَاقِ الضُّحَى

مِنْهُنَّ نُطْقُ الذِّئْبِ فِى تَصْدِيقِهِ ❊ وَالْعِيرِ أَيْضاً وَالذِّرَاعِ وَالرَّشَا

الآية : العلامة والمعجزة والبينة الظاهرة . والمعجزات : جمع معجزة . وهى الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى . ومثل إشراق الضحى : صفة لمعجزات أى أن له صلى الله عليه وسلم كثيراً من الآيات الصادقة والمعجزات الخارقة

الدالة على صدقه فى رسالته وصحة ماأخبر به من بعثته منها : نطق الذئب . والعير : أى الجمل . والذراع والرشا : أى ولد الظبى وهو مهموز وخففه للقافية . ويشير بذلك إلى ماروى من أن راعى غنم أخذ له ذئب شاة فانتزعها منه فقال له الذئب ألا تتق الله حلت بينى وبين رزقى ، فقال الراعى العجب من ذئب يتكلم ، فقال له الذئب أنت أعجب واقفاً على غنمك ورسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ماقدسبق ، فأتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم . وإلى شكوى البعير إليه عليه السلام بأن أربابه يجيعونه ويدئبونه . وإلى ذراع الشاة التى سمتها له يهودية من خيبر فأخبرته الذراع بذلك وإلى كلام الظبية التى صادها أحد الأعراب فقالت للنبى صلى الله عليه وسلم لى خشفان فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع فأطلقها ورجعت فسرحها الأعرابى فذهبت تعدو وهى تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله والكلام فى هذه المعجزات ومن رواها مبسوط فى محله . وأطلق الناظم الرشأ على الظبية تجوزاً

وَمِنْ عَظِيمِ الْمُعجزَاتِ أَنَّهُ ☆ قَدْ سَبَّحَتْ فى كَفِّهِ صُمُّ الْحَصَى

يشير إلى ما رواه الترمذى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن فى كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولها أبابكر فسبحن فى كفه ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم أخذها الحاضرون فلم يسبحن مع أحد منهم . وصم الحصى : جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت

وَالجِذْعُ إِذْ فَارَقَهُ حَنَّ كَمَا ☆ تَحِنُّ ثَكلَى هَاجَها حَرُّ الجَوَى

الجذع : ساق النخلة . وحن : اشتاق . والثكلى : الفاقدة . وهاجها : أثارها

وحر الجوى : أى اشتعال الوجد يشير بهذا إلى قضية حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يخطب مستنداً إليه قبل اتخاذ المنبر ، فلما اتخذه وقام ليخطب عليه صاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد . ويروى حن حنين الناقة فنزل النبى وضمه إليه حتى سكت وقال إن هذا بكى لما فقد من الذكر عنده والحديث روى بطرق كثيرة

وَالسَّرْحُ بِالشَّامِ لَهَا أُعْجُوبَةٌ ✲ إِذْ عَفَّرَتْ أَغْصَانَهَا عَلَى الثَّرَى

السرح : الشجر الكبير الواحدة سرحة . والأعجوبة كالعجب والعجاب الأمر الذى يتعجب منه . وعفرت : مرغت . والثرى : التراب . وكان هذا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم فى بصرى بأرض الشام لما سافر مع عمه إليه فأتى إليه بحيرا الراهب وقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً له ولا تسجد إلا لنبى والحديث رواه البيهقى وغيره

وَالْأَيْكُ إِذْ أَمَرْتَهَا فَأَقْبَلَتْ ✲ وَمَا بَقِى عِرْقٌ لَهَا إِلَّا انْفَرَى

وَقُلْتُ عُودِى فَكَأَنَّ أَصْلَهَا ✲ مَا زَالَ عَنْ مَوْضِعِهِ وَلَا نَأَى

الأيك : الشجر الملتف الواحدة ايكة . وبقى بسكون الياء كبقى بفتحها . والعرق : الأصل . وانفرى : انقطع . ونأى : بعد . وهذا إشارة إلى ما روى عن بريدة سأل اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فأتت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها حتى تقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى

النبي صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله فقال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت، الحديث رواه البزار وغيره ومن هنا التفت الناظم من الكلام على وجه الغيبة إلى الخطاب

وَالشَّاةُ إِذْ مَسَحْتَهَا عَادَتْ بِهِ ✲ بَعْدَ الْهُزَالِ ذَاتَ مَحْضٍ يُشْتَهَى

فَرَوَتِ الرَّكْبَ بِشَكْرَى ضَرْعِهَا ✲ إِذْ سَحَّ مِنْهَا الضَّرْعُ دَرًّا وَانْهَمَى

الشاة: الواحدة من الغنم للذكر والأنثى. ومسحتها: لمستها. وعادت به: صارت بالمسح المفهوم من مسحتها. والهزال: الضعف. والنحول: ضد السمن. والمحض: اللبن. فروت الركب: أى سقتهم فكفتهم. والركب: الركبان واحده راكب. وشكرى ضرعها: من اشكر الضرع امتلأ لبنا فهو شكران وهى شكرى ولا بد من تقدير حذف الموصوف ليطابق الوصف أى ضرة ضرعها والضرة أصل الضرع والضرع للشاة والبقر كالثدى للمرأة والضرة أيضاً الثدى أو الضرع كله فيكون أنث وصف الضرع وهو شكرى على معنى الضرة. وسح: سال ودرا أى لبنا تميز. وانهمى: سال. ويشير الناظم إلى شاة أم معبد لما أوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيمتها فى سفر هجرته وكانت شاة عجفاء تخلفت عن الغنم لشدة ضعفها فمسح النبي ضرعها وحلبها فملأ من حلبها إناء يشبع الجماعة وكان سأل أم معبد هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك والله ما ضربها فحل قط

وَفِى انْشِقَاقِ الْبَدْرِ أَىُّ آيَةٍ ✲ بَانَتْ وَمَا كَانَتْ حَدِيثًا يُفْتَرَى

أى آية: أى آية عظيمة. بانت: أى ظهرت. يفترى: أى يكذب ويشير إلى معجزة انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم، إذ سأله أهل مكة آية فأراهم

انشقاق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، والحديث في الصحيح وغيره

وَكَمْ مَشَتْ مِنْ فَوْقِهِ غَمَامَةٌ ۞ تَقِيهِ حَرَّ الشَّمْسِ حَيْثُمَا مَشَى

الغمامة : واحدة الغمام وهو السحاب . وتقيه : تحفظه . وقد كان هذا الأمر من التأسيسات الواقعة قبل نبوته صلى الله عليه وسلم ، وفى حديث بحيرا المتقدم طرف منه أنه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فىء الشجرة فلما جلس مال الفىء اليه

وَآيَةُ الْغَارِ مَعَ الصِّدِّيقِ إِذْ ۞ تَوَارَيَا فِي جَوْفِهِ عَنِ الْعِدَى

قَالَ لَهُ الصِّدِّيقُ كَيْفَ نَخْتَفِى ۞ وَنَحْنُ فِيهِ غَرَضٌ لِمَنْ يَرَى

فَقَالَ لَاتَحْزَنْ فَأَنَّ اللهَ قَدْ ۞ حَجَبَنَا عَنْ كُلِّ ضُرٍّ وَأَذَى

فَحَاكَ فِيهِ الْعَنْكَبُوتُ سَادِلاً ۞ بِبَابِهِ فِي الْحِينِ سَجْفًا قَدْ ضَفَا

وَسَتَرَتْ وَجْهَ النَّبِيِّ سَرْحَةٌ ۞ جَاءَتْ إِلَى الْغَارِ بِأَغْصَانٍ عُلَى

وَحَامَ فِي الْحِينِ الْحَمَامُ حَامِيًا ۞ كَأَنَّهُ مُذْ أَزْمُنٍ فِيهِ ثَوَى

الغار : النقب فى الجبل . والصديق : هو أبو بكر رضى الله عنه . وتواريا : اختفيا وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم والصديق . والجوف : العمق . والعدى : الأعداء وهم هنا كفار قريش . قوله ونحن فيه غرض : أى بمرأى لمن يرى . والغرض فى الأصل : الهدف الذى يرمى اليه . وحجبنا : سترنا . وحاك : نسج

والعنكبوت : دويبة معروفة وهى مؤنثة . قال تعالى « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » وقد تذكر وعليه جرى الناظم وسادلا : من سدل الستر أرخاه . وببابه : أى باب الغار والباء ظرفية . والسجف : بالفتح والكسر الستر . وضفا : سبغ وهو من باب عدا وسما . والسرحة : الشجرة الكبيرة . بأغصان على : جمع عليا أى مرتفعة جداً فهو وصف لأغصان ، وأنثه باعتبار أن موصوفه جمع مؤنث اللفظ . وحام الحمام : دار . وحاميا : مانعا أى الغار . ومذ : بمعنى من . وأزمن : جمع زمن . وثوى : أقام . وفى هذه الأبيات الاشارة إلى إيوائه صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر إلى غار ثور لما خرجا مهاجرين إلى المدينة وما وقع له فى ذلك من المعجزات فان الكفار قد شق عليهم خروجه لأنهم كانوا يريدون قتله فانطلقوا فى طلبه وقد وصلوا إلى ذلك الغار حتى قال أبو بكر يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدمه لرآنا فقال له ماظنك باثنين الله ثالثهما بذلك حين يقول الله تعالى إذ يقول لصاحبه الآية وروى أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار حتى أن أمية بن خلف لما وقف عليه قال إن عليه العنكبوت أقدم من ميلاد محمد . وروى أن الله أنبت على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عنه أعين الكفار

وَلَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ أَجْلَى آيَةٍ ٭ إِذْ سَارَ مِنْ مَكَّةَ لَيْلًا وَسَرَى

فَاخْتَرَقَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ صَاعِداً ٭ حَتَّى انْتَهَى مِنْهَا لأَعْلَى مُنْتَهَى

المعراج : السلم وبه سميت المعجزة . وأجلى : أظهر . وسار : ذهب . وسرى : سار ليلا وأسرى مثله ومنه الاسراء . فاخترق : جاب . والسبع الطباق : السموات السبع لأنها بعضها فوق بعض . وصاعداً : أى مرتفعا حال من فاعل

اخترق الذى هو النبي صلى الله عليه وسلم . وحتى انتهى : اى وصل. لأعلى منتهى : أى مكان ينتهى اليه ، يشير إلى معجزة الاسراء والمعراج وهما من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم . أما الاسراء فهو توجهه ليلا إلى بيت المقدس ورجوعه من ليلته وهو المذكور فى القرآن بقوله : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الآية » . وأما المعراج فهو صعوده إلى السماء ولقيه الأنبياء فيها وتقريب الله له ورؤيته مارأى من آيات ربه الكبرى وفى الصحيح عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل باناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء » الحديث . وفى آخره بعد أن ذكر عروجه إلى السماء السابعة مع جبريل « ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلى ما أوحى » فهذا قول الناظم حتى انتهى منها لأعلى منتهى . وفى قوله سار وسرى وانتهى ومنتهى جناس مطلق ومشتق

وَائْتَمَّ سُكَّانُ السَّمٰوَاتِ بِهِ ٭ مِنْ مَلَكٍ وَمِنْ نَبِيٍّ مُجْتَبَى

ائتم به : اقتدى. ومن : بيان لسكان السموات . والمجتبى : المختار . وقد روى هذا فى غير حديث أنس ولفظه ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح عليهما السلام

سَايَرَهُ جبْرِيلُ حَتَّى أَشْرَفَا ٭ معاً عَلَى بِحَارِ نُورٍ وَسَنَى

فَقَالَ جبْرِيلُ تَقَدَّمْ رَاشداً ٭ هَذَا مَقَامِى فى ٱلسَّمَاوَات ٱلْعُلَى

فَاخْتَرَقَ الْأَنْوَارَ يَمْشِى وَحْدَهُ ٭ وَالْحُجْبُ تَنْجَابُ لَهُ حَيْثُ انْتَهَى

وَقَامَت الْأَمْلَاكُ إِجْلَالًا لَهُ ٭ أَمَامَهُ يَسْعَوْنَ حَيْثُمَا سَعَى

نَادَاهُ فِى ذَاكَ الْمَقَامِ رَبُّهُ ٭ يَاصَفْوَةَ الْخَلْقِ ٱدْنُ مِنِّى فَدَنَا

فَكَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ فَمَا ٭ كَذَبَ إِذْ ذَاكَ الْفُؤَادُ مَارَأَى

خَلَا بِهِ حَتَّى حَبَاهُ رُؤْيَةً ٭ مَازَاغَ فِيهَا بَصَرٌ وَلَا طَغَى

سايره : سار معه . وأشرفا : اطلعا . والبحار : جمع بحر . وإضافتها إلى النور إضافة تشبيهية . والسنى : مقصورا النور . وتقدم راشداً : أى مهتديا . فاخترق : أى النبي صلى الله عليه وسلم . والحجبة : مخفف بلا سكون جمع حجاب . وتنجاب : تنخرق . والأملاك : جمع ملك . وصفوة الخلق : المختار منهم . وادن : من دنا يدنو قرب . فكان منه قاب قوسين : كناية عن شدة القرب والقاب : مابين نصف وتر القوس وطرفه فلكل قوس قابان . وما كذب الفؤاد : أى فؤاده صلى الله عليه وسلم . ومارأى : أى أبصر وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى أن ذلك كان رؤية حقيقية لم يخدع فيها البصر القلب فيكذبه القلب . خلا به : من الخلوة وهى الانفراد . وحباه : أعطاه . وما زاغ : أى مال . ولا طغى : أى تجاوز الحد . والمراد لم يشتغل بصره بسوى ما أرى ولم يلتفت إلى غيره

وفى هذه الأبيات الاشارة إلى ماوردفى بعض روايات حديث الاسراء مما وقع له عليه السلام فيه من التقريب والتكريم فمنها أتانى جبريل وكان السفير بى إلى ربى إلى أن انتهى بى إلى مقام فقام عنده فقلت ياجبريل فى مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال إن تجاوزته احترقت بالنور إلى أن قال ثم زج بى فى النور زجا فخرق لى سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عنى حس كل ملك وإنسى إلى أن قال فاذا النداء من العلي الأعلى ادن ياخير البرية ادن ياأحمد ادن يامحمد ليدن الحبيب فأدنانى ربى حتى كنت كما قال تعالى : « ثم دنا . - الآية » . وهذا الحديث لم يثبت وإنما سقناه لتفسير كلام الناظم ، وفى البيت الأخير الاشارة إلى رؤيته لله عز وجل على مذهب من أثبتها وهو الصحيح

وَكَانَ ذَاكَ كُلُّهُ فِى لَيْلَةٍ ٭ لَمْ يَسْتَلِبْهَا الصُّبْحُ أَثْوَابَ الدُّجَى

ذاك : أى الاسراء والمعراج . فى ليلة : أى واحدة وهى على المشهور ليلة السابع والعشرين من رجب سنة اثنتى عشرة من البعثة : ولم يستلبها الصبح : أى لم يسترقها . وأثواب الدجى : أى الظلام استعارة مرشحة بذكر الاستلاب. والمراد لم يسفر صبحها إلا وقد وقعت المعجزة

وَفِى نُزُولِ الْغَيْثِ عَامَ الْمَحْلِ مَا ٭ سَرَّ نُفُوسَ الْقَوْمِ طُرًّا وَجَلَا

إِذْ أَمْسَكَ الْقَطْرُ عَنِ الْأَرْضِ وَلَمْ ٭ يَنْزِلْ بِهَا غَيْثٌ وَلَا هَبَّتْ صَبَا

حَتَّى دَعَا اللهَ لِيَسْقِي أَرْضَهُ ٭ فَسَحَّتِ السُّحْبُ بِهَطَّالِ الْحَيَا

وَبَقِيَتْ سَبْعًا تُرِيقُ رِيقًا ٭ رَاقَ بِهِ نُورُ الْبِطَاحِ وَالرُّبَى

فَأَفْرَطَ الْوَبْلُ عَلَى الْخَلْقِ فَلَمْ ٭ يُقْلِعْ وَلَا انْجَابَ الْحَيَا حَتَّى دَعَا

الغيث : المطر . والمحل : الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ . وسر نفوس القوم : أوقعهم فى السرور وهو الفرح . وطراً : أى جميعاً . وجلا : كشف يعنى مابهـا من الغم . إذ أمسك : أى انحبس . والقطر بالفتح : المطر . ولم ينزل بها : أى فيها . ولا هبت : أى هاجت . صبا : وهى الريح الشرقية . حتى دعا الله : أى سأله وضميره للنبى صلى الله عليه وسلم . فسحت السحب : أى سالت . بهطال الحيا : أى المطر وهو من إضافة الصفة الى الموصوف . وهطل المطر : انصب بكثرة . وبقيت : أى السحب . سبعاً : أى سبعة أيام والمعدود إذا حذف جاز فى العدد التذكير والتأنيث . وتريق : أى تهرق . والريق : الماء الرائق . وراق : أعجب . والنور : الزهر . والبطاح : جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى . والربى : جمع ربوة وهى المكان المرتفع . فأفرط : أى كثر . والوبل : المطر الشديد كالوابل . ولم يقلع : أى لم ينكشف . ولا انجاب : أى انقطع . ويشير الناظم إلى قضية استسقائه صلى الله عليه وسلم للناس وإجابة دعوته قبل أن يبرح مقامه وهى كما فى الصحيح ان الناس أصابتهم سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وليس فى السماء قطعة سحاب فما وضعها حتى صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل حتى أصابهم مطر واستمر إلى الجمعة الثانية فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآجام والآكام

والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر ، فأقلعت السحاب وخرجوا يمشون فى الشمس وسال الوادى شهراً ولم يجىء أحد من ناحية إلا حدث بالجود.
وجنس الناظم بين تريق وريقا وراق جناس اطلاق واشتقاق

وَالصَّاعُ أَشْبَعْتَ به أَلْفاً كَمَا ❊ أَرْوَيْتَ نصفَ الْأَلْف وَالْأَلْفَ معَا
وَعَادَ بَعْدَ شِبَعِ الْقَوْمِ كَأَنْ ❊ لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُ طَعَامٌ إِذْ نَمَا

الصاع : مكيال معروف وهو خمسة أرطال وثلث بالبغدادى . وأشبعت به ألفاً : الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى كفيتهم من الطعام بمقداره وكذا القول فى أرويت . وعاد : أى رجع وضميره للصاع . وإذ نما : أى زاد علة لعدم انتقاصه ويشير إلى معجزة تكثيره الطعام والشراب وكفايته الجم الغفير بالقليل منهما وقد وقع له ذلك مراراً عديدة ، منها فى غزوة الخندق جاءه جابر رضى الله عنه فقال يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح النبى صلى الله عليه وسلم ياأهل الخندق إن جابراً صنع سؤرا فحهلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم لاتنزلن برمتكم ولا يخبزن عجينكم حتى أجىء ثم جاء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادعى خابزة فلتخبز معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وأن برمتنا لتغط كما هى وأن عجيننا ليخبز كما هو ومنها فى يوم الحديبية إذ عطش الناس فجهشوا نحوه وبين يديه ركوة يتوضأ منها فقال مالكم فقالوا يارسول الله ماعندنا ماء نتوضأ به ولا نشربه إلا مابين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربوا وتوضأوا قال راوى الحديث عن جابر قلت كم كنتم قال لوكنا

مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة والحديثان معاً فى الصحيح .

وَقِصَّةُ الزَّوْرَاءِ فيهَا عَجَبٌ ❊ إذْ رَوِىَ الجَيْشُ جَمِيعاً مِنْ إِنَا

وَضَعَ فيه كَفَّهُ فَانْهَلَّ مِنْ ❊ أَنْمُلِه مَاءٌ نَمِيرٌ وَجَرَى

وَكَانَ جَيْشاً مِنْ ثَلَاثِمَائَة ❊ فَكُلُّهُمْ غَرَفَ مِنْهُ وَارْتَوَى

الزوراء : موضع بالمدينة . والأناء . الوعاء . وهو ممدود وقصره ضرورة . وروى : اكتفي من الماء . والجيش . الجماعة من الناس السائرون لحرب أو غيرها . وانهل : انصب . والأنمل : جمع أنملة وهى رأس الأصبع . وماء نمير : أى عذب . جرى : عطف على انهل . وغرف وأخذ منه بيده . ويشير الناظم إلى حديث أنس وهو فى الصحيحين قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالزوراء وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى بوضوء فوضع يده فى ذلك الأناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم قال راويه قلنا كأنس كم كنتم قال كنا ثلاثمائة »

وَفى نُزُولِ الْوَحْىِ أَمْرٌ هَالَ إِذْ ❊ أَعْجَزَ أَرْبَابَ الْبَيَانِ وَالْحِجَا

أُنْزِلَ فِى عَصْرِ الْبَيَانِ فَتُلِي ❊ عَلَي الْجَمِيعِ فِى الْبَوَادِى وَالْقُرِى

طَالَبَتْهُمْ بِآيَةٍ مِنْهُ مِثْلِه ❊ فَكُلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ لِلْعَجْزِ انْتَمَى

الوحى : الالهام والكلام الخفى ويطلق أيضا على الموحى به كما هنا . والمراد القرآن العظيم . وهال : أفزع . وأعجز : غلب . وأرباب البيان : أهل الفصاحة

واللسن . والحجا : العقل . وأنزل فى عصر البيان : أى زمنه . فتلى : مبنى على مالم يسم فاعله أى قرىء . والبوادى : جمع بادية وهى خلاف الحاضرة . والقرى : جمع قرية وهى البلدة . طالبتهم : الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى طلبتهم على سبيل التقريع والسورة من القرآن معروفة . وانتمى : انتسب يعنى أن القرآن المنزل عليه صلى الله عليه وسلم هو نفسه معجزة بل هو أعظم معجزة أوتيها نبى على الاطلاق . لكونه اية عقلية باقية على مر الزمان فى جميع الآفاق . فكم تضمن من أنباء الغيب وأخبار الأمم ، وكم حوى من الآداب والأحكام والحكم ، وذلك فى أفصح لفظ وأبلغ معنى وأوجز عبارة وأصح مبنى ، بل إنه بلغ من الفصاحة والبلاغة إلى حد الاعجاز الذى ليس فى طوق البشر أن يأتوا بمثله ولا بسورة منه وقد تحدى به النبى صلى الله عليه وسلم العرب العرباء أهل اللسن والفصاحة فعجزوا عنه وأخبرهم أنه لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، فلم يكذبوه ولم يلق منهم معارضة ولا نكيراً ، وأما ما كان من مسيلمة الكذاب فقد أشار إليه الناظم بقوله :

وَقَامَ مِنْهُمْ كَاذِبٌ مُعَارِضاً ✿ هَذَى بِعِيٍّ غَيْرِهِ وَمَا هَدَى

جَاءَ بِقَوْلٍ هَلْهَلٍ مُتَبَّجٍ ✿ وَجَاءَ فِيهِ بِفِرىً لَاتُرْتَضَى

تَمُجُّهُ الْأَذَانُ عِنْدَ سَمْعِهِ ✿ نَظْمٌ رَكِيكُ النَّسْجِ إِفْكٌ مُفْتَرَى

كَأَنَّهُ مَنْطِقُ وَرْهَا مَسَّهَا ✿ خَبْلٌ مِنَ الْجِنِّ فَفَاهَتْ بِالْهُرَا

منهم : أى من أهل البيان . معارضاً : أى مناقضاً . وهذى : تكلم بالهذيان

وهو الكلام الساقط لا معنى له . وبعى غيره : أى بعى ثابت لغيه لازم له والعى بالكسر ضد البيان . والغى : ضد الرشد . وما هدى : أى ما أرشد . وهلهل : ضعيف التركيب . ومشبج : غير مستقيم . وفاه : أى تكلم . بفرى : جمع فرية وهى الكذبة . وتمجه الآذان : أى تلفظه وترميه . ونظم ، ركيك : أى هو نظم أى تأليف ركيك أى غير فصيح . وإفك : كذب . ومفترى : مختلق . والورهاء : الحمقاء وهو ممدود وقصره للضرورة . ومسها : أصابها . والخبل : فساد العقل . والهراء : الكلام الفاسد ممدود قصره للقافية : ويشير إلى محاولة مسيلمة الكذاب لمعارضة القرآن وهو مسيلمة بن حبيب الحنفى وكان تنبأ باليمامة علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وفد عليه وأسلم وزعم أنه يوحى اليه ومن جملة وحيه الذى كأنما أنزل على معدته قوله يعارض وزن القرآن والمبذرات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً والخابزات خبزاً والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً إهالة وسمناً لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآزروه والباغى فناوئوه . فى أمثال لهذى السخافات وقد قتل لارحمه الله فى حروب الردة مدة خلافة أبى بكر والناظم فى هذه الأبيات بجارى الشقراطيسية حيث يقول :

فرام رجس كذوب أن يعارضه ... بسخف إفك لم يحسن ولم يطل
مشبج بركيك الأفك ملتبس ... ملجلج بزرى الزور والخطل
يمج أول حرف سمع سامعه ... ويعتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شذ به ... لبس من الخبل أومس من الخبل

وَرَدُّهُ عَيْنَ قَتَادَةَ كَمَا ۞ كَانَتْ فَعَادَتْ ذَاتَ حُسْنٍ وَبَهَا

رده : أى النبي صلى الله عليه وسلم . فعادت . أى صارت . والبهاء : الجمال ممدود قصره للقافية وهذا إشارة إلى معجزة رده لعين قتاده بن النعمان رضى الله عنه وقد أصيب يوم أحد حتى وقعت على وجنته فأتى به إلى النبى صلي الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن لى امرأة أحبها وأخشى إن رأتنى تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها إلى موضعها وقال : « اللهم اكسه جمالا » فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى

وَكَمْ أَنَالَتْ كَفُّهُ مِنْ نِعَمٍ ۞ وَكَمْ أَزَاحَتْ مِنْ وَبَالٍ وَعَنَا

أنالت : أعطت . والنعم : جمع نعمة وهى الصنيعة والمنة . وأزالت : أذهبت . والوبال : الهلاك . والشدة : العنا مقصور للقافية وهو التعب والمرض والأمر الأول لاريب فيه فهو صلى الله عليه وسلم أجود العالمين وكذا الثانى وقد مر رده لعين قتادة بيده الشريفة ويأتى مافعل لعلي بن أبى طالب فى غزوة خيبر وذلك كثير .

وَكَمْ لَهُ مِنْ غَزْوَةٍ ذَلَّتْ لَهُ ۞ فِيهَا رِقَابُ الْمُشْرِكِينَ وَالْعِدَا

الغزوة : الاسم من الغزو وهو قصد القوم لقتالهم فى بلادهم . وذلت : خضعت. والرقاب : جمع رقبة وهى العنق. والمشركون : الكفار . والعدى : الأعداء . أى ان له صلى الله عليه وسلم غزوات كثيرة لأهل الشرك وأعدائه من كفار قريش الذين آذوه وأصحابه وأخرجوه من بلاده لغير حق إلا أن يقول ربى الله ، كتب الله له فيها النصر عليهم فغلبهم وخضعت له رقابهم بعد التكبر عليه والتجبر .

قَادَ بِهَا مِنْ صَحْبِهِ عَسَاكِرًا ☼ عَزَّ بِهِمْ دِينُ الْإِلٰهِ وَسَمَا
مِنْ كُلِّ شَهْمٍ مُكْتَمٍ بِحَزْمِهِ ☼ وَمُمْتَطٍ لِلْحَزْمِ أَسْمَى مُمْتَطَى
يَسْقِي كُؤُوسَ الْحَتْفِ فِي يَوْمِ الْوَغَى ☼ كُلَّ عَدُوٍّ ضَلَّ فِيهَا وَغَوَى
بِكُلِّ رُمْحٍ نَافِذٍ بَادِي السَّنَى ☼ وَكُلِّ نَصْلٍ بَاتِرٍ مَاضِي الشَّبَا

القود : ضد السوق وهو أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها ومنه قيادة الجيش أى التقدم عليه . والعساكر : الجند . وعز : صار عزيزاً . وسما : علا . والشهم : الذكى الفؤاد . والمكتمى : لابس السلاح من الاكتماء وهو الاستتار لانه يستتر بالدرع والبيضة . والحزم : التقيظ والضبط للأمور شبهه بالسلاح فاستعار له الاكتماء . والممطى : من امتطى الدابة إذا ركب . مطاها : أى ظهرها . والعزم : القوة والتصميم على الشيء . وأسنى : أى أرفع . والممتطى : مصدر أو اسم مكان . والحتف : الموت . شبهه بالشراب فاستعار له الكؤوس . والوغى : الحرب . وضل : ضد اهتدى . وغوى : ضل . بكل رمح نافذ : يتعلق يسقى . والرمح : عود طويل فى رأسه حربة للقتال . ونافذ : من نفذ السهم نفوذاً من باب قعد . ونفاذ : أخرق الرمية وخرج منها . وبادى السنى : ظاهر الضوء . والنصل : السيف . والباتر : القاطع . وماضى الشبا : حاد الشفرة . يعنى أنه فى غزواته عليه السلام كان يقود جيشا من أصحابه الأعلام الذين أعز الله بهم الاسلام ، مشتملا على كل ذكى همام ، ذى حزم واعتزام ، يرمى على العدا كؤوس الحمام ، بأطراف القنا وحد الحسام ، فهو مدح للصحابة رضوان الله عليهم بالقوة فى الدين والكفاءة والشجاعة كقوله :

أُسْدٌ لَدَى الْهَيجاء لَكِنْ مَالَهُمْ ۞ غَابٌ سِوَى ظِلِّ الْقَتَامِ وَالْقَنَا

كَمْ زَاوَلُوا الْأَوْرَادَ فِى ظَلْمَائِهِمْ ۞ وَقَاتَلُوا الْأَبْطَالَ يَوْمَ الْمُلْتَقَى

فَهُمْ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سُجَّدٌ ۞ وَفِى النَّهَارِ مُضْرِمُوا نَارِ الْوَغَى

أى هم أسد . ولدى : بمعنى عند . والهيجاء : الحرب . لكن مالهم : هذا استدراك يوهم إخراج شيء من وصف المدح الذى قبله فايلاؤه صفة مدح أخرى يجعله تأكيداً للمدح بما يشبه الذم وهو بديع . والغاب : جمع غابة وهى الشجر الملتف . والقتام : الغبار . والقنا : الرماح . وزاولوا : عالجوا وحاولوا . والأوراد : جمع ورد وهو مايوظفه الانسان على نفسه من وظائف العبادات . والأبطال : جمع بطل . وهو الشجاع . وجن الظلام : ستر واشتدت ظلمته . والسجد : جمع ساجد . ومضرموا : أى موقدوا من اضرم النار أوقدها . والوغى : الحرب . يصف الصحابة رضى الله عنهم بأنهم أسود الكفاح ، الملازمون لقاب الرماح ، وهم مع ذلك انضاء تعبد ، وأحلاس تهجد ، فكم أضرموا نار الحرب عند اللقاء ، وكم عفروا الجباه سجوداً فى جوف الظلماء .

رِيعَ بِهِمْ فُؤَادُ كُلِّ مُشْرِكٍ ۞ مِنْ كُلِّ شَاكٍ عَاثَ كُفْرًا وَعَتَا

كَمْ صَادَمُوا أَقْيَالَ كُلِّ جَحْفَلٍ ۞ وَكَمْ أَدَارُوا بَيْنَهُمْ كَأْسَ الرَّدَى

وَمَنْ يَكُنْ نَاصِرُهُ مُحَمَّداً ۞ خَيْرَ الْوَرَى تَجِمْ لَهُ أُسْدُ الشَّرَى

ريع بهم : أى أخيف . والفؤاد : القلب . ومن كل شاك : هو على حذف المضاف اليه أى شاكى السلاح يقال رجل شاكى السلاح . وشاك السلاح : أى سلاحه

ذو شوكة وأصله شائك فقلب . وعاث : أفسد . وعتا : تكبر . وصادموا : زاحموا وقارعوا . والأقيال : جمع قيل وهو الملك . والجحفل : الجيش . وأداروا بينهم : أى ناولوهم . والردى : الهلاك . والكلام فى هذا الشطر على الاستعارة . وقوله تجم له : أى تعجز عنه . وأسد الشرى : أى سباع المحل المخصوص المعروف بهذا الاسم . وتقدم : يريد أنهم رضى الله عنهم أخافوا المشركين وأفزعوهم . وقارعوا شجعانهم وملوكهم فقرعوهم . ولا عجب فى ذلك فان من يكون رسول الله ناصره لا يبالى بلقاء الأسود الكاشرة وهذا البيت من قول البوصيرى :

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم

سَلْ عَنْهُمْ بدراً وَسَلْ أَبْطَالَهَا ۞ مَافَعَلُوا إذْ بَلَغَ السَّيلُ الزُّبَى

سل عنهم : أى الصحابة . بدراً : أى أهل بدر . وأبطالها : أى شجعانها من الكفار وأنث باعتبار أن بدراً اسم للغزوة . وما فعلوا : أى من الأفاعيل العظيمة فى القتال . وبلغ السيل الزبى : مثل يقال للأمر اذا جاوز الحد وذلك أن الزبية هى الرابية التى لا يعلوها الماء فاذا بلغها فقد جاوز حده . واستعاره هنا لاشتداد عدوان الكفار على المسلمين وبدر اسم الماء على الطريق بين مكة والمدينة كانت عنده الغزوة الكبرى التى سميت به فكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثنتين من الهجرة ثم قال الناظم مبينا استعداد الكفار فى هذه الغزوة وما آتى الله نبيه فيها من النصر المبين .

جَاءَتْ جُيُوشُ الشِّرْكِ فِى عَسَاكِرٍ ✿ بِسُبُقٍ تَعْدُ بِهِنَّ الْجَمَزَا

قَادُوا خَمِيسًا غَصَّتِ الْأَرْضُ بِهِ ✿ مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ وَلَيْثٍ قَدْ سَطَا

فَجَاءَ جِبْرِيلُ بِأَمْلَاكٍ لَهُمْ ✿ خَيْلٌ مِنَ الْكَوْنِ سَرِيعَاتُ الْخُطَا

بِعَدَدٍ ذِى كَثْرَةٍ وَعُدَدٍ ✿ مَاحَاكَ خَلْقٌ نَسْجَهَا وَلَا حَكَى

جُنْدٌ حَمَى اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ✿ أَكْرِمْ بِمَحْمِيٍّ بِهِ وَمَنْ حَمَى

جاءت جيوش الشرك : أي يوم بدر . بسبق : أي بخيل سبق بضمتين جمع سبوق مبالغة فى الوصف بالسبق ويصح أن يكون بفتح ثانيه مع التشديد جمع سابق ولا مبالغة حينئذ . وتعدوا : أى تجرى . بهن : أى بالعساكر . والجمزا : نوع من العدو سريع . والخميس : الجيش لأنه خمسة أقسام مقدمة وساقة ومجنبتان وقلب . وغصت الأرض به : استعارة لامتلائها وضيقها عنه ومن كل ضرغام : بيان لخميس . والضرغام : الأسد . وكذلك الليث . وسطا : استطال واعتدى . وجبريل الملك الكريم المعلوم . والأملاك : الملائكة . والكون : عالم الغيب . والخطا : جمع خطوة وهى ما بين القدمين عند المشى . وبعدد : بدل من أملاك . وعدد : جمع عدة وهى آلة الحرب . وماحاك : أى نسج . خلق : أى مخلوق . نسجها : أى منسوجها . والكلام على الاستعارة . ولا حكى : أى شابه . وأكرم بمحمى به : أى النبى ﷺ . ومن حمى . أى الجند فهو تعجب من كرمهما معاً . وكان عدد المشركين فى غزوة بدر نحو الألف وعدد المسلمين نحو الثلاثمائة وامد الله تعالى نبيه بجند من ملائكته عدده ألف كما قال عز وجل : « إذ تستغيثون ربكم - الآية » . وجنس الناظم بين عدد وعدد وحمى ومحمى بالمحرف والمشتق

وَكَانَ مِنْ آيَاتِ بَدْرٍ أَنَّهُ ۞ رَمَى جُيُوشَهُمْ بِكَفٍّ مِنْ حَصَى

أَصَبْتَ مِنْهُمْ أَعْيُناً فَعَمِيَتْ ۞ وَامْتَلَأَتْ حِينَ رَمَيْتَ بِالْقَذَى

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ أَعْيُناً ۞ مِنْهُمْ بِهِ وَإِنَّمَا اللهُ رَمَى

فَكُلُّهُمْ عُقِلَ عَنْ حَرَاكِهِ ۞ وَجَاشَ مِمَّا قَدْ دَهَاهُ وَجَشَا

من آيات بدر : أى معجزاتها . أنه : أى النبي صلى الله عليه وسلم . رمى جيوشهم : أى الكفار . بكف : أى بملئها من حصى . أصبت منهم أعيناً : التفات من الغيبة إلى الخطاب لاستحضار الصورة فى الذهن كأنها مرئية بالعين. والقذى : مايسقط فى العين والشراب من الغبار ونحوه . ومارميت إذ رميت : أى ما أصبت أعينهم إذ رميتهم بالحصى . وإنما الله رمى : أى أصابها . وعقل : أى منع من العقل وهو الربط والشد . والحراك : الحركة . وجاش : هاج واضطرب . ومما قد دهاه : أى أصابه من داهية . وجشا : مهموز خفف للقافية وهو بمعنى جاش ويشير الناظم إلى ماروى من أنه صلى الله عليه وسلم لما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمى به فى وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه ومنخريه منها شىء فانهزموا ولما انتهت الوقعة كان الرجل من المؤمنين يقول قتلت وقتلت فنزلت فلم تقتلوهم الآية وجنس الناظم بين جاش وجشا بالقلب

مَوْضِعُ حَتْفٍ حَانَ فِيهِ حَيْنُهُمْ ۞ وَرَوِيَتْ أَقْطَارُهُ مِنَ الدِّمَا

فَكَمْ قَتِيلٍ خَرَّ مَبْتُورَ الْمِعَى ۞ وَكَمْ طَرِيدٍ فَرَّ مَذْعُورَ الْحَشَا

وَكَمْ أَسِيرٍ مُثْخَنٍ فِى قَيْدِهِ ٭ إِمَّا إِلَى الْمَنِّ وَإِمَّا لِلْفِدَا

موضع : خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أى بدر موضع حتف . والحتف : الموت . وحان الشىء : قرب وقته . والحين : الهلاك . ورويت : سقيت . والأقطار : النواحى . والدما : جمع دم مقصور للقافية . والمبتور : المقطوع . والمعى : واحد الامعاء وهى المصارين . والطريد : الهارب . وفر : هرب . والمذعور : الخائف . والحشا : من انضمت عليه الضلوع والمراد القلب . والأسير : المأخوذ . والمسخن : من أثخن فى العدو بالغ فى قتاله . والقيد حبل ونحوه تقيد به الدابة وغيرها أى تعقل عن المشى . والمن : العفو . والفداء : مصدر فدى الرجل من الأسر ونحوه استنقذه بمال أو سواه . يريد أن بدراً هو موضع حتف وحين للكفار أخذوا فيه وقتلوا تقتيلا فما ترى منهم إلا طريداً أو أسيراً أو قتيلا وقد كان عدد القتلى فى بدر نحو السبعين والأسرى كذلك وهم من صناديد قريش وأئمة الكفر فيها واستشار النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة فيهم فأشار عليه عمر بقتلهم وأبو بكر بقبول الفداء منهم فعمل برأى أبى بكر لكن الله تعالى عاتب نبيه فى فدائهم بقوله : « ماكان لنبى أن يكون له أسرى — الآية »

وَغَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِيهَا عَجَبٌ ٭ إِذْ ابْتَلَى اللهُ بِهَا مَنِ ابْتَلَى

غزوة الخندق : هى غزوة الأحزاب سميت بالخندق الذى حفر حول المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم والذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه وعمل فيه عليه السلام نفسه ترغيبا للمسلمين وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين وتحزبهم على حرب المسلمين وغزوهم فى عقر دارهم فلذلك قال الناظم :

إذ ابتلى الله بها من ابتلى : أى المسلمين ثم بين أمر ذلك الابتلاء بقوله :

أَقْبَلَ مُشْرِكُوا قُرَيْشٍ كُلُّهُمْ ☆ وَجَيَّشُوا الْأَحْزَابَ مِنْ كُلِّ مَلَا

حَرَّضَهُم بَنُو النَّضِيرِ إِذْ بَغَوْا ☆ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالْعِدَا

وَصَارَخُوا مِنْ غَطَفَانَ عَسْكَرًا ☆ عَرَمْرَمًا مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَصَى

رَامُوا بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ نِقْمَةً ☆ إِذْ جَيَّشُوا بِرُومَةٍ جَيْشًا طَمَى

أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ لَهُمْ ☆ فِى مُعْضِلَاتِ الْحَرْبِ مَكْرٌ وَدَهَا

مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ وَمِنْ نَجْدٍ وَمِنْ ☆ تِهَامَةٍ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ طَغَى

أقبل : أى جاء . وجيشوا : أى جمعوا : والأحزاب : جمع حزب . وهو الطائفة من الناس : والملا . أشراف الناس : حرضهم بنو النضير : أى حثوهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم : إذ بغوا : أى ظلموا : وصارخوا من غطفان عسكراً . أى صرخ بعضهم بعضا بمعنى أغاث . والعسكر : الجيش جمعه عساكر . والعرمرم : الجيش الكثير . والجبار : المتكبر العاتى . وعصى : ضد اطاع . وراموا : أى قصدوا . والنقمة : الانتقام والمكافأة بالسوء . ورومة محل بالمدينة المنورة . وطمى : كثر من طمى الماء ارتفع وملأ النهر أكثر بالنصب بدل من جيشاً . والمعضلات : الشدائد . والمكر : الخداع . والدها : مقصور للقافية الذكاء . من قيس عيلان بيان : لعشرة آلاف . وطغى : أسرف فى الظلم وكان من خبر الأحزاب أن بنى النضير وهم من يهود جوار المدينة خرجوا حتى قدموا على قريش مكة وقالوا إنا سنكون معكم على محمد حتى

نستأصله فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وإن قريشاً قد بايعوهم على ذلك فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة فيمن تبعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن فنزلت الى جانب أحد فيمن تبعها من أهل نجد وكان عدة الجميع عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف وقول الناظم وغيرهم من اليهود هو معطوف على بنى النضير ويريد بهم بعض اليهود الوائليين ممن حرضوا عليه مع بنى النضير وقوله من قيس عيلان يريد بهم غطفان لان غطفان بن قيس عيلان . ومن جيشوا وجيشاً جناس مشتق

هُنَالِكَ ابْتُلِىَ كُلُّ مُؤْمِنٍ ۞ وَزُلْزِلُوا لَمَّا دَهَاهُمْ مَادَهَى

فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ ۞ رِيحًا أَرَاحَتْ مِنْهُمْ كُلَّ عَنَا

وَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِمُ مَلَائِكٌ ۞ مِنَ السَّمَاءِ بِجُنُودٍ لَاتُرَى

لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْبَلَاءَ عَمَّهُمْ ۞ وَفَرِقُوا تَفَرَّقُوا أَيْدِى سَبَا

جَلَاهُمْ دُونَ قِتَالٍ رَبُّنَا ۞ إِذْ كَفَّ عَنْهُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَفَى

هنالك ابتلى كل مؤمن : أى امتحن واختبر . وزلزلوا : أى المؤمنين الذين دل عليهم لفظ كل أى اضطربوا وارتجوا : ودهاهم : أصابهم بداهية . ومادهى : فاعل بدهاهم وأبهمه للتعظيم : والريح : الهواء وهى مؤنثة وقد تذكر وغالب استعمالها فى العذاب فان كانت للرحمة فهى رياح وذلك لأن العرب تقول لاتلقح السحاب

إلا من رياح مختلفة وفى الحديث كان يقول إذا هاجت الريح « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحاً » وأراحه : أذهب تعبه . ومنهم : حال أصله الصفة لقوله كل عناء : أى تعب وهو ممدود وقصره للقافية . وأنزلت عليهم : أى على المسلمين . ملائك : جمع ملك . بجنود لاترى : أى لأنها من عالم الغيب . لما رأوا : أى المشركون . أن البلاء : أى العذاب . عمهم : أى شملهم جميعاً . وفرقوا : بكسر الراء أى خافوا . تفرقوا أيدى سبا : أى تبددوا وهذا مثل يضرب فى تبدد القوم لأن سبا أبو العرب اليمانية وكانوا قد تبددوا فى البلاد بسبب سيل العرم .وأيدى سبا : أعوانه وجنوده . وجلاهم : أى طردهم . إذ كف عنه المؤمنين : أى منعهم من القتال . وكفى : أى كفاهم إياه بما أرسل عليهم من الريح ، وهذا مقتبس من قوله عز وجل : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال » كما أن أول هذه الأبيات من قوله سبحانه هنالك ابتلى المؤمنون الآية وقبلها يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وفى هذه الآيات الكريمة شرح واف لكلام الناظم وبين ريح وأرحت ، وفرقوا وتفرقوا وكف وكفى جناس مطلق .

وَانْقَرَضَتْ قُرَيْظَةٌ بِالْقَتْلِ إِذْ ❊ خَانُوا وَخَالُوا أَنَّهُمْ أَهْلُ نُهَى

مَا بَيْنَ سَبْعِمِائَةٍ وَنَيِّفٍ ❊ قَدْ ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ مِنْهُمُ الطُّلَا

لَمْ يَقِهِمْ مِنَ الْمَنَايَا وَالرَّدَى ❊ مَا شَيَّدُوهُ مِنْ حُصُونٍ وَبُنَى

فَمَا حَيَا حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ ❊ بِمَا جَنَى عَمْداً وَلَا كَعْبٌ نَجَا

رَاحتْ غَدَاةَ غُودِرُوا رَهْنَ الثَّرَى ❊ أَرْوَاحُهُمْ مِنَ الدُّنَا إِلَى لَظَى

انقرضت قريظة : أى درجت ولم يبق منها أحد . إذ خانوا : أى عهد المسلمين . وخالوا : أى ظنوا . أنهم أهل نهى : أى عقل . مابين سبعمائة ونيف : أى شخصاً من قريظة . والنيف فى العدد : مازاد على العقد ولم يبلغ العقد الآخر . قد ضربت بالسيف : أى قطعت . والطلا : الأعناق : واحدتها طلية : وقيل طلاة . لم يقهم : أى لم يمنعهم . والمنايا : جمع منية وهى الموت . والروى : الهلاك . وماشيدوه : أى رفعوه . فاعل يقهم . والحصون : جمع حصن وهو البناء المنيع . والبنى : جمع بنية وهى كل مابنى من دار وغيرها . فماحيا : أى ماعاش وهو بالفتح . وجنى : اجترم . وراحت : أى ذهبت عشية . وغداة : أى صباح . غودروا : أى تركوا . رهن الثرى : أى مستودعين فى القبور . وأرواحهم : فاعل راحت . والدنا : جمع دنيا . ولظى : جهنم . قال عز وجل : « كلا إنها لظى نزاعة للشوى » ويشير الناظم إلى فتكه صلى الله عليه وسلم يعنى قريظة وهم يهود جوار المدينة جزاء خيانتهم له فى احرج المواقف حين قصده الأحزاب وكان بنو قريظة على عهد وعقد مع النبى صلى الله عليه وسلم فلم يزل حيي بن أخطب سيد بنى النضير برئيسهم كعب بن أسد حتى نقض هو وقومه العهد فلما انتهى الخبر إلى رسول الله بعث بعض أصحابه إليهم فوجدهم على أخبث مابلغه عنهم فعظم عند ذلك البلاء على المسلمين واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق فى بعض المنافقين وأنزل الله تعالى « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » فلما هزم الله الأحزاب رجع رسول الله إلى المدينة ووضع السلاح واغتسل

فأتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ماوضعناه أخرج إليهم - وأشار إلى بني قريظة - فاني عامد إليهم فمزلزل بهم فقصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رئيس حلفائهم من الأوس فحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء فقال عليه السلام لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات وقدموا فضربت أعناقهم جميعاً وكانوا على ماعند أبي عائذ من مرسل قتادة سبعمائة وروى ستمائة وروى تسعمائة وهو أكثر تقدير لهم . وجنس الناظم بين انقرضت وقريظة وبين خانوا وخالوا وبين حيا وحيي وراحت وأرواحهم جناساً مطلقاً ومحرفاً ومشتقا

وَقَدْ فَشَتْ أَخْبَارُ أَرْضِ خَيْبَرٍ ۞ إِذْ خَرِبَتْ بِمَا أَتَاهَا مِنْ تَوَى

حَلَّ بِهِمْ جَيْشُ النَّبِيِّ غُدْوَةً ۞ وَعَمَّهُمْ مِنْ بَأْسِهِ خَطْبُ دَهَى

فَاسْتَفْتَحُوا حُصُونَهُمْ وَاسْتَأْصَلُوا ۞ أَعْيَانَهُمْ بِالْمُرْهَفَاتِ وَالْقَنَا

فشت : ذاعت . وخربت : ضد عمرت . والتوى : الهلاك . حل بهم : أى نزل . غدوة : أى صباحا . وعمهم : أى صابهم جميعاً . من بأسه : أى شدته . خطب دهى : أى شدة عظيمة . فاستفتحوا حصونهم : أى استولوا عليها وأخذوها والحصون الأبنية الحصينة . واستأصلوا أعيانهم : أى لم يبقوا منهم أحداً من استأصل الشجر قلعه من أصله . وأعيان القوم : رؤساؤهم . والمرهفات : السيوف الرقاق . والقنا : الرماح . ويشير إلى غزوة خيبر وهى مدينة لليهود ذات حصون ومزارع على مقربة من المدينة وكان يهودها أعظم سبب فى غزوة

الخندق لتحريضهم الأحزاب على حربه صلى الله عليه وسلم فأتاهم ليلا وكان إذا أتى قوما بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد . الخميس : أى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقاتل صلى الله عليه وسلم أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله عليه حصناً حصناً

وَفِى عَلِيٍّ إِذْ أَرَادَ بَعْثَهُ ❊ لِبَعْضِهِمْ مُعْجِزَةٌ لِمَنْ يَرَى

كَانَ بِعَيْنَيْهِ أَذًى مِنْ رَمَدٍ ❊ فَتَفَلَ النَّبِيُّ فِيهَا فَبَرَا

وَسَارَ فِى الْحِينِ إِلَيْهِمْ نَاشِراً ❊ رَايَتَهُ يَجُوبُ بِالْجَيْشِ الْفَلَا

قَلَعَ بَابَ خَيْبَرٍ فَمَا عَصَى ❊ رَاحَتَهُ كَأَنَّهُ فِيهَا عَصَا

أَنَابَهُ عَنْ تُرْسِهِ فَلَمْ يَزَلْ ❊ بِيَدِهِ حَتَّى جَرَى مَا قَدْ جَرَى

فَاسْتَفْتَحَ الْحِصْنَ الْحَصِينَ وَاعْتَلَى ❊ بِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ دِينُ الْمُجْتَبَى

البعث : الارسال . والأذى : الضرر . وقد بينه بقوله من رمد . وتفل : أى بزق بزقا خفيفاً . فبرا : أى شفى من رمد عينيه وهو بالفتح على لغة الحجاز . وناشراً رايته : ناصباً لها والراية العلم الكبير . ويجوب : يقطع . والفلا : جمع فلاة وهى المفازة . قلع باب خيبر : أى انتزعه من موضعه . فما عصى : أى الباب وهو يذكر ويؤنث . راحته : أى يده يعنى مااستصعب عليه كأنه فيها عصا

واحدة العصى التى يتوكأ عليها : أى كان الباب فى يده عصا يبعد بها ماشاء. فلذلك أنابه عن ترسه : أى أقامه مقام الترس وهو ما يتترس به فى الحرب أى يتوق من ضرب السيف وحتى جرى ماقد جرى غاية لقوله لم يزل . والذى جرى الفتح والنصر ووقع لى هذا البيت بلفظ حتى جرى ماقد رجا وهو حسن . فاستفتح : أى فتح . الحصن الحصين : أى البناء المنيع جدا . واعتلى به : أى علا والضمير فى به لعلى كرم الله وجهه أو للفتح المفهوم من استفتح . والمجتبى : المفضل وهو النبى صلى الله عليه وسلم . ويشير الناظم إلى معجزة إبرائه صلى الله عليه وسلم لعينى على فى خيبر وماظهر منه كرم الله وجهه فيها من الشجاعة النادرة وكان المسلمون يغدون كل يوم للمناوشة مع أهل الحصون ولا يقدرون منهم على شىء . فلما كانت الليلة التى فتحت خيبر فى صبيحتها قال ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه » فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم يرجو أن يعطاها فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا هو يارسول الله يشتكى عينيه . قال فأرسلوا إليه . فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية . فقال على : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم . وفى رواية : إن عليا قلع باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا إلا بعد الجهد . وفى أخرى : أنه ترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه . وقد تعددت قصة الباب الروايات ولكنها كلها ضعيفة . وجنس الناظم بين عصى وعصا جناساً تاماً .

وَإذْ أَتَمَّ الْمُصْطَفَى افْتِتَاحَهُ * لِخَيْبَرَ سَارَ إلَى وَادِى الْقُرَى
حَاصَرَهُمْ لَيَالِياً وَآبَ مِنْ * غَزْوَتِهِ تِلْكَ بِعِلْقٍ مُقْتَنَى

وادى القرى : موضع بقرب المدينة أهله يهود سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من فتح خيبر ودعاهم للاسلام فأبوا فقاتلهم وبعدمحاصرة أربعة أيام وقيل أكثر من ذلك ظفر بهم وأصاب من أموالهم أثاثاً ومتاعاً كثيراً فذلك هوقول الناظم . وآب : أى رجع . من غزوته تلك . بعلق مقتنى : أى مدخر . والعلق : الشيء النفيس .

وَفِى افْتِتَاحِ مَكَّةَ عِزٌّ غَدَا * مُذِلَّ كُلِّ كَافِرٍ فِيهَا عَدَا
إذْ جَاءَهَا يَزْحَفُ فِى عَسَاكِرٍ * ضَاقَ بِهَا رَحْبُ الْأَرَاضِى وَالْفَضَا
كَتَائِبٌ كَأَنَّهَا كَوَاكِبٌ * وَهْوَ بِهَا كَأَنَّهُ بَدْرُ الدُّجَى

الافتتاح : الفتح . وغدا : صار . ومذل كل كافر : من إضافة إسم الفاعل إلى مفعوله : أى موقعاً فى الذل وضمير فيها لمكة . وعدا : ظلم . وإذ جاءها : أى مكة وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم . يزحف : أى يمشى متثاقلا لكثرة من معه من العساكر . وضاق بها رحب الأراضى والفضا : أى لم يتسع لها . والأراضى : جمع أرض . والفضا : مااتسع من الأرض وهذا كناية عن كثرتها . كتائب : جمع كتيبة وهى الجيش وشبهها بالكواكب بجامع الرفعة والاهتداء . وهو : بسكون الهاء أى النبي صلى الله عليه وسلم . بها : أى فيها . كأنه بدر الدجى : أى الظلام فشبهه بالبدر بين الكواكب لكمال نوره الحسى والمعنوى وعموم الاهتداء به فى سائر المواطن . ويشير الناظم إلى الفتح

الأعظم فتح مكة الذى أعز الله به الدين ، واستنقذ بلده الأمين ، وحرمه الذى جعله هدى للعالمين ، من أيدى أعدائه المشركين ، وأذلهم وخذلهم وأدان منهم لعباده المؤمنين . وبين غدا وعدا جناس مصحف

مَلَأْتَهَا خَيْلاً وَرَجْلاً مِنْهُمُ ☆ بَيْنَ جِبَالٍ وَبِطَاحٍ وَرُبَى

جُبْتَ بِهِمْ ظَلْمَاءَ نَقْعٍ مَالَهَا ☆ ثَوَاقِبٌ إِلَّا أَسِنَّةُ الْقَنَا

ملأتها : أى مكة والخطاب له عليه السلام على سبيل الالتفات . وخيلا ورجلا : تمييز . والخيل معروفة . والرجل : اسم جمع لراجل وهو ضد الفارس . ومنهم : فى موضع الصفة لما قبله والضمير فيه يعود على الكتائب . وبين جبال : حال من الموصوف بالجار والمجرور والجبال معروفة . والبطاح : أماكن السيول . والربى : الأماكن المرتفعة . جبت بهم : أى قطعت . والظلماء : الظلام . والنقع : الغبار . وإضافة الظلماء إليه إضافة تشبيهية أى نقعاً شبيهاً بالظلماء لكثرته ويصح أن يكون الكلام على الاستعارة فيكون المشبه بالظلماء سواد النقع لا النقع نفسه وعلى كل فما بعده تجريد وتأكيد للمدح بما يشبه الذم . وهو قوله مالها : أى الظلماء . ثواقب : جمع ثاقب وهو النجم المضىء . إلا أسنة القنا : جمع سنان وهو حديدة الرمح . والقنا : الرماح

عَشَرَةُ آلَافٍ كِرَامٍ أُلِّفَتْ ☆ قُلُوبُهُمْ طُرًّا عَلَى سُبْلِ الْهُدَى

قَبَائِلٌ عَلَتْ عَلَى قَبَائِلٍ ☆ مِنْ كُلِّ شَهْمٍ فِى الْحُرُوبِ مُتَّقَى

وَكُلِّ ضِرْغَامٍ بَصِيرٍ بِالْوَغَى ☆ قَدْ سَلَّ نَصْلَ الْعَزْمِ فِيهَا وَانْتَضَى

عشرة آلاف : هو بيان لعدد جيش الفتح . وروى أنه كان إثنى عشر ألفاً وجمع بينهما بأنه خرج بعشرة آلاف وتلاحق به ألفان . والكرام : جمع كريم وهو ضد اللئيم . وألفت : أى جمعت . وطراً : أى جميعا . وسبل : بالسكون تخفيفا جمع سبيل أى طريق وهو مستعار لقواعد الدين . قبائل : جمع قبيلة وهم من العرب بنو الأب الواحد . وعلت : ركبت . وعلى قبائل : أى احناء رحال والمراد الرحال نفسها : من كل شهم : بيان لقبائل الأولى . والشهم : الذكى القلب . والمتقى : المحذور لبأسه . وكل ضرغام : أى أسد . بصير بالوغى : أى عارف بها . والوغى : الحرب . وسل نصل العزم : أى أخرجه من غمده . والنصل : حديدة السيف والكلام على التشبيه المرشح . وانتضى : بمعنى سل . وجنس الناظم بين آلاف وألفت ، وبين قبائل العرب وقبائل الرحال جناساً مشتقاً وتاماً

أَقبلْتَ فِى كُتَيْبَةٍ خَضْرَاءَ قَدْ ❊ حَفَّ بِهَا ٱلتَّأْيِيدُ مِنْ رَبِّ ٱلْعُلَى

تَصْحَبُهَا رَكَائِبٌ كَأَنَّهَا ❊ مَرَاكِبٌ فِى لُجِّ يَمٍّ قَدْ طَمَى

وَأَنْتَ يَاخَيرَ الْوَرَى تَقُودُهَا ❊ كَأَنَّمَا أَنْتَ بِهَا شَمْسُ ٱلضُّحَى

أقبلت : أى جئت . والكتيبة الخضراء : التى تعلوها خضرة السلاح . وحف بها : أى أحاط . والتأييد : النصر . والعلى : السموات . تصحبها ركائب : جمع ركوبة وهى الناقة التى تركب . والمراكب : جمع مركب وهو مايركب مطلقا فى بر أو بحر . وفى لج يم : أى مضطرب ماء بحر . قد طمى : أى علا وارتفع . وأنت ياخير الورى : أى الخلق . تقودها : تقدمها . وبها . أى فيها وكانت

هذه الكتيبة التى فيها أتى النبى صلى الله عليه وسلم هى كتيبة المهاجرين والأنصار . يقال أنه كان فيها ألف ذارع وفيها الرايات والألوية مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم فى الحديد لايرى منهم إلا الحدق ولذلك وقع فى رواية للبخارى وصفها بأنها أجل الكتائب . وبين ركائب ومراكب جناس لاحق

أَتَيْتَ فِى جُنْدِ الْإلٰه رَافِلاً ✲ فى ثَوْبِ تَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ قَدْ ضَفَا

وَالْخَيْلُ مِنْ خَلْفِكَ تَخْتَالُ بِهَا ✲ وَالْعِيسُ تَنْثَالُ فُرَادَى وَثُنَى

أتيت : أى جئت . والجند : العساكر واحده جندى وأضافه إلى الاله لنصرة دينه . ورافلا : حال من الفاعل فى أتيت وهو من رفل فى ثيابه أطالها وجرها متبختراً . وثوب التأييد : تشبيه والتأييد بمعنى النصر . وقد ضفا : أى سبغ وهو رافلا ترشيح للتشبيه . قوله والخيل من خلفك : جملة حالية من فاعل أتى . وكذا تختال تتبختر . والعيس : الابل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة واحدها أعيس والأنثى عيساء ويقال هى كرائم الابل . وتنثال : تتتابع وفرادى : واحداً واحداً . وثنى : اثنين اثنين . وهذا الكلام من معنى ماقبله وليس إطنابا معيباً لأنه فى مقام المدح والثناء فيحسن تعداد الأوصاف وتكثير الجمل

قَدِ انْطَوَيْتَ مِنْ تَوَاضُعٍ عَلَى ✲ رَحْلِكَ لَمَّا أَنْ وَصَلْتَ ذَا طُوَى

خَشَعْتَ مِنْ تَحْتِ لِوَاءِ الْعِزِّ إِذْ ✲ عَلاَ بِكَ الدِّينُ كَمَالاً وَسَنَى

فَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ بِهِ مِنْ فَرَحٍ ✲ وَزَهْوٍ إِذْ حَلَّ بِهَا عَيْشٌ حَلاَ

عِزُّ نَبِيٍّ عَقَـدَ اللهُ لَهُ ٭ لِوَاءَه فَوْقَ السَّمٰوَاتِ الْعُلَى

انطويت : أى انحنيت . والرحل: سرج البعير . وذو طوى : واد بقرب مكة . وخشعت : أى خضعت . واللواء علم دون الراية . وعلا : ارتفع . وكاملا وسنى: تميزان للنسبة المبهمة فى علا ويصح أن يكونا حالين من الدين بتأويلهما باسم الفاعل أى كاملا سنياً . فاهتزت الأرض : أى تحركت . والزهو : العجب . وحل بها : أى نزل . والعيش : الحياة . وحلا : ضد مر . عز نبى : أى العز الذى خشع النبى صلى الله عليه وسلم تحت لوائه هو عز نبي أى عز عظيم يناسب قدر النبوة . عقد الله له لواءه : أى هيأه له . فوق السموات العلى : ظرف للعقد وهو التشريف . ويشير الناظم إلى ماروى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وقف بذى طوى وتوسط الناس وإن عثنونه ليمس واسطة رحله أو يقرب منها تواضعاً لله حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين ثم قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة » والناظم فى هذا الوصف يساير قول الشقراطيسى رحمهما الله إذ يقول فى الموضوع من قصيدة :

ويوم مكة إذ أشرفت فى أمم	تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها	فى قاتم من عجاج الخيل والأبل
وجحفل قذف الأرجاء ذى لجب	عرمرم كزهاء السيل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم	فى بهو إشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب	متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتدياً	ثوب الوقار لأمر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت	بك المهابة فعل الخاضع الوجل

وقد تباشر أملاك السماء بما ... ملكت إذ نلت منه غاية الأمل
والأرض ترجف من زهو ومن فرق ... والجويز هو إشراقا من الجذل
والخيل تختال زهواً فى أعنتها ... والعيس تنثال زهواً فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الأقلام من قدر ... وسابق من قضاء الله ذى حول
أهل تهلان بالتهليل من طرب ... وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت ... له النبوة فوق العرش فى الأزل

وبين انطويت وذى طوى وحل وحلا جناس مطلق

وَحِينَ حطَّ رَحْلَهُ بِمَكَّةٍ ... كَبَا بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ وَبَكَى
لَمْ يَبْقَ إِذْ ذَاكَ بِهَا مِنْ مُشْرِكٍ ... إِلَّا اخْتَفَى خَوْفًا بِهَا أَوِ انْجَلَى
فَمَا أَفَادَتْ ابْنَ حَرْبٍ حَرْبُهُ ... حَتَّى أَتَاهُ صَاغِرًا فِيمَنْ أَتَى
وَلَا حَمَى فِيهَا صَفْوَانَ حَزْمُهُ ... حَتَّى نَجَا مُنْهَزِمًا فِيمَنْ نَجَا
فَكَانَ مِنْ فَضْلِ النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى ... يَوْمَئِذٍ أَنْ كَفَّ عَنْهُمْ وَعَفَا

حط رحله : أنزله . وكبا : سقط لوجهه . وبها : أى فيها . وبكى : أى تحسراً لما رآه من عز الاسلام . وإذ ذاك : أى حين الفتح . واختفى : استتر . وانجلى : خرج هارباً . فما أفادت : أى لم تنفع . ابن حرب : هو أبو سفيان . حربه : أى للنبي صلى الله عليه وسلم فى أحد وغيرها . حتى أتاه صاغراً : أى ذليلا . فيمن أتى : أى فى جملة الذين أتوه من كفار قريش وأسلم أبو سفيان يومئذ فأكرمه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى

سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، قوله ولاحمى صفوان : أى لم يدفع عنه شيئا وهو صفوان بن أمية . وحزمه : أى تيقظه وضبطه للأمور . حتى نجا منهزما : أى مغلوباً ، فيمن نجا : أى فى جملة من نجوا من القتل . وكان صفوان قد اختفى وأراد أن يذهب فيلقى نفسه فى البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب وقال يارسول الله إن صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك أمنت الأحمر والأسود فقال عليه السلام أدرك ابن عمك فهو آمن وأسلم صفوان بعد ذلك وحسن إسلامه . فكان من فضل النبى : أى إحسانه . المجتبى : أى المختار . أن كف عنهم : أى أعرض عن قتلهم . وعفا : أى صفح . روى البخارى وغيره أنه لما كان الغد من يوم الفتح قال يامعشر قريش ماترون أنى فاعل فيكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال اذهبوا فأنتم الطلقاء أى الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يوسروا وجنس الناظم بين كبا وبكى بالقلب

وَطَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ شَاكِرًا ✲ لِلّٰهِ مَا أَعْطَاهُ فَضْلًا وَحَبَا

وَمَرَّ بِالْأَصْنَامِ إِذْ طَافَ بِهِ ✲ يَشِيرُ نَحْوَهَا نَخَرَّتْ لِلثَّرَى

فَبَعْضُهَا خَرَّ عَلَى الْوَجْهِ لِمَا ✲ أَصَابَهُ وَبَعْضُهَا عَلَى الْقَفَا

فَأَصْبَحَ الدِّينُ الْقَوِيمُ قَيِّمًا ✲ سَمَا عَلَى الْأَدْيَانِ طُرًّا وَعَلَا

وَعَادَ بَرْقُ الشِّرْكِ بَرْقًا خُلَّبًا ✲ مِنْ بَعْدِ مَا أَوْمَضَ حِيناً وَخَفَى

طاف بالبيت : استدار به والبيت المسكن وغلب على الكعبة . والعتيق : القديم وصف به لأنه أول بيت وضع للناس . وما أعطاه : أى من الخير العميم فترك

البيان لقصد التعميم . وفضلا : حال من الفاعل والمفعول والمراد أنه أعطاه ما أعطاه من غير وجوب عليه . وحبا : بمعنى أعطى . ومر بالأصنام : جمع صنم وهو الوثن . يشير نحوها : أى إليها . فخرت للثرى : أى سقطت على التراب والمقام وان كان للحال لكن الماضى أقوى دلالة على الوقوع فلذلك عدل إليه . ولما أصابه : أى من الخزى والذل ونزلها الناظم منزلة العاقل الذى يأسى للمصيبة ويجزع على قدر هولها فجعلها تدرك حقيقة ما أصابها فتخر على الوجه أو على القفا . فأصبح الدين القويم : أى صار دين الأسلام . قيما : أى قائم الحكم نافذ الأمر . وسما : بمعنى علا . وعاد برق الشرك : أى صار والشرك لابرق له ولكنه استعاره لظهوره واعتلائه . والبرق الخلب : الخادع الذى لا مطر فيه . من بعد ما أو مض : أى لمع وهو ترشيح للاستعارة . وخفى : أى استتر عطف على عاد . ويشير الناظم إلى ما روى من أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة طاف بالبيت وكان حوله ثلاثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار اليه بعود فى يده وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . فما أشار إلى صنم فى وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع . والحديث له روايات مختلفة فى الصحيح وغيره

وَفِى حُنَيْنٍ حَانَ حَيْنُ حَارِثٍ ۞ وَمُلْكُ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ قَدْ عَفَا

دَارَتْ عَلَيْهِمْ إِذْ تَوَوْا دَوَائِرٌ ۞ وَأَسْلَمُوا دُرَيْدَهُمْ إِلَى الرَّدَى

حنين : واد قرب الطائف وقعت فيه غزوة هوازن وتسمى أيضا غزوة حنين . وحان الشىء : جاء وقته . وحارث : المراد به سبيع بن حارث الذى يقال له ذو الخمار وهو سيد بنى مالك من ثقيف وصاحب رايتها فى حنين وقد

قتل فى ذلك اليوم . وملك : أى سلطان . وعز مالك بن عوف قد عفا : أى درس وزال وكان رئيس هوازن فى هذه الغزوة فلذلك وصفه بالملك وهو كقول الشاعر فى هوازن :

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا ... ومالك فوقه الرايات تختفق

ومالك ملك ما فوقه أحد ... يوم حنين عليه التاج يأتلق

دارت عليهم : أى نزلت بهم . إذ تووا : أى هلكوا . دوائر : أى نوائب ومصائب . وأسلموا : أى تركوا . دريدهم إلى الردى : أى الهلاك وهو دريد ابن الصمة الشاعر والفارس المشهور وكان حضر هذه الحرب ولكنه لكبره وعماه لم يكن له فيها إلا الرأى وقتل لما انهزم المشركون . وجنس الناظم بين حان وحين وعوف وعفا وبين ملك ومالك ودارت ودوائر جناسا مطلقاً ومشتقاً .

لَمَّا أَتَاهُمْ مَاحَبَــا اللّٰهُ بِهِ ✲ نَبِيَّهُ مِنَ الْفُتُوحِ وَالْغِنَى

غَاظَهُمْ فَجَمَعُوا مِنْ حَيْنِهِمْ ✲ عَسَاكِراً مِمَّنْ تَوَلَّى وَغَوَى

وَجَمَعَتْ هَوَازِنٌ قَبائِلاً ✲ مِمَّنْ وَهَى عَقْلاً بِهَا حَتَّى هَوَى

جَاءُوا بِأَطْفَالٍ وَأَمْوَالٍ لَهُمْ ✲ مِنْ ذِى بُكَاءٍ وَيُعَارٍ وَرُغَا

لما أتاهم : أى بلغهم . وحبا : أى أعطى يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه وبحرف الجر . من الفتوح : جمع فتح وهو النصر على الأعداء . والغنى : أى الغنائم . غاظهم : أى أغضبهم جداً . وممن تولى : أى أدبر وأعرض عن طريق الحق . وغوى : أى ضل . وهوازن : قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة

بطون . ومن وهى : أى ضعف . وعقلا : تميز . وبها : أى فيها . وحتى هوى : غاية لضعف عقله . وهوى : سقط . جاءوا بأطفال : جمع طفل . وأموال : جمع مال والمراد به نعمهم وماشيتهم كما يدل عليه ما بعده . من ذى بكاء : راجع للأطفال . ويعار ورغا : راجع للاموال واليعار صوت الشاء والرغاء : صوت الأبل وهو ممدود وقصره للقافية وكان من خبر حنين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها وأسلم عامة أهلها أدركت هوازن وثقيف حمية الجاهلية فاجتمع الأشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رئاستهم مالك بن عوف النصرى فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة وكان فى القوم دريد الصمة فقال لمالك تريد انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم ومن بالشام وأجلي يهود الحجاز إما قتلا واما خروجا عن ذل وصغار ويومك هذا الذى تلقى فيه محمدا ما بعده يوم . فقال : إنى لأطمع أن ترى مايسرك . فقال دريد : منزلى حيث ترى فاذا جمعت الناس سرت اليك فأمر مالك الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذراريهم وأموالهم فلما خرج مالك وأقبل دريد قال لمالك : مالى أسمع بكاء الصغير ورغاء البعير ونهاق الحمير وخوار البقر ويعار الشاء قال أردت أن أجعل خلف كل انسان أهله وماله يقاتل عنهم . فانتقص به دريد وقال : وهل يرد المنهزم شىء انها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل مشورته وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم ولما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال : غنيمة للمسلمين ان شاء الله . فهذا ما يشير اليه الناظم هنا . وبين وهى وهوى جناس القلب .

خَرَجَ النَّبِيُّ فِي عَسَاكِرٍ ✿ مِنْ كُلِّ صِنْدِيدٍ كَرِيمِ الْمُنْتَمَى

عَسَاكِرٌ تَتْبَعُهَا عَسَاكِرٌ ✿ كُلٌّ لَهُ عَزْمٌ إِذَا الْخَطْبُ عَرَا

خرج النبي : أى إلى حنين . ومن كل صنديد : بيان لعساكر . والصنديد السيد الشجاع . وكريم المنتمى : الشريف النسب . عساكر تتبعها عساكر : أى عساكر عظيمة تتبعها عساكر كذلك . كل له عزم : أى كل واحد منهم له عزم أى تصميم عظيم . إذا الخطب : أى الأمر الشديد . عرا : أى نزل . وخرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذه الغزوة من مكة إذ كان لايزال بها منذ الفتح وجملة من كان معه فيها من الجيش اثنا عشر ألفاً عشرة آلاف من المدينة واثنان من مكة من الطلقاء

لَمَّا تَرَاءَى الْعَسْكَرَانِ أَقْبَلَتْ ✿ جُيُوشُ أَهْلِ الشِّرْكِ تَمْشِي الْخَيْزَلَى

فَفَرَّ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ هَارِباً ✿ فَمَا ثَنَى عِنَانَهُ مِنْهُمْ فَتَى

فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ✿ سَكِينَةً شَامَ بِهَا بَرْقَ الْمُنَى

فَقَامَ فِي الْحِينِ لَهُمْ مُنَادِياً ✿ أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى

فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ نَحْوُ مِائَةٍ ✿ مِمَّنْ بِهِ فِي الْمُعْضِلَاتِ يُهْتَدَى

ثُمَّ دَعَا الْعَبَّاسُ جَهْراً فَانْثَنَى ✿ إِلَيْهِ أَنْصَارُ النَّبِيِّ إِذْ دَعَا

وَأُيِّدُوا بِعَسْكَرٍ عَرَمْرَمٍ ✿ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ أَمْلَاكِ السَّمَا

فَانْهزمتْ جُيُوشُ أَهْلِ الشِّرْكِ إذْ ❊ حَمَى جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ حَمَى

لَجُدِّلُوا طَعْناً وَضَرْباً إذْ جَثَوْا ❊ بَيْنَ عَوَامِلِ الرِّمَاحِ وَالظُّبَى

نَصْرٌ إلَاهِيٌّ قَضَى اللهُ بِهِ ❊ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِيمَا قَدْ قَضَى

لما تراءى العسكران : أى رأى بعضهم بعضا حين القتال . أقبلت جيوش أهل الشرك : أى تقدمت . تمشى الخيزلى : أى مشياً بطيئا لكثرتها . ففر : أى انهزم فولى هارباً . وما ثنى عنانه : أى عطفه إلى القتال . فأنزل الله على نبيه سكينة : أى وقاراً وثباتاً . شام بها برق المنى : أى نظره والمنى جمع منية وهى البغية وإضافة البرق اليها تشبيهية . فقام : أى النبي صلى الله عليه وسلم . مناديا : أى قائلا ماذكر . فاجتمت اليه نحو مائة : أى قريب منها . ممن به فى المعضلات : جمع معضلة . وهو الأمر الشديد . يهتدى : أى يسترشد . ثم دعا العباس : أى نادى بأمره صلى الله عليه وسلم . جهراً : أى دعاء عالياً . فانثنى : أى رجع اليه . أنصار النبي : أى نصراؤه من الأنصار وغيرهم . وأيدوا : أى أعينوا ونصروا . بعسكر عرمرم : أى كثير . من أملاك السما : بيان لعسكر . فانهزمت جيوش أهل الشرك : أى غلبت فولت الأدبار . إذ حمى جيوش المسلمين : أى دفع عنها . من حمى : أى الله عز وجل وأبهمه للتعظيم . لجدلوا : أى رموا بالأرض طعنا : أى مطعونين بالرماح . وضرباً : أى مضروبين بالسيوف . إذ جثوا : أى جلسوا على ركبهم . بين عوامل الرماح : أى أعوادها جمع عامل . والظبى : جمع ظبة وهى حد السيف . نصر إلاهى : أى هو نصر منسوب إلى الآله لأنه الذى من به وأعطاه كما قال . قضى الله به : أى حكم . من قبل خلق الخلق : أى فى سالف

الأزل حين قدر المقادير ورتب الأشياء على ماهى عليه . فيما قد مضى : أى فى جملة ماحكم به . ويشير الناظم فى هذه الأبيات إلى خروجه صلى الله عليه وسلم إلى حنين وما وقع فيها للمسلمين من الهزيمة أولا ثم النصر والفتح المبين آخراً وبيان ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما صف الغزاة ركب بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وكان للعدو كمين فخرجوا وحملوا على المسلمين حملة واحدة فانكشفوا وثبت النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه قليل من الناس منهم العباس عمه وعلى وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد فبعضهم لايجاوز بهم العشرة وبعضهم يقارب بهم المائة وجمع بينهما بأن من زاد على العشرة يكون بمحل فى الرجوع فعد فيمن لم ينهزم وذلك حين جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا عبد الله ورسوله أنا عبد الله ورسوله : قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو ولأنه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم فى نحر العدو وأبوسفيان بن الحرث آخذ بركابه وروى أنه كان يقول

أنا النبي لاكذب ٭ أنا ابن عبد المطلب

ثم قال ياعباس ناد يامعشر الأنصار ياأصحاب السمرة يعنى شجرة بيعة الرضوان التى بايعوه تحتها أن لايفروا عنه فجعل تارة ينادى ياأصحاب السمرة وتارة ياأصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الابل إذا حنت على أولادها . قال العباس : فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها يقولون يالبيك يالبيك فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم فقال الآن حمى الوطيس وهو التنور ضربه مثلا لشده الحرب وهذا من فصيح الكلام الذى لم يسمع من أحد قبله. وفى البخارى عن البراء وسأله رجل أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وهو من بليغ الجواب وبديع الاحتراس. وأمد الله المسلمين بجنود من الملائكة فدارت الدائرة علي المشركين وانهزموا شر هزيمة وقتل منهم أكثر من سبعين رجلا وفى هذه الغزوة قال الله تعالى « ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم الآية »

نَبِيٌّ صِدْقٍ صَادِقٌ فِى زُهْدِهِ * مَافَوْقَهُ لِمُعْتَلٍ مِنْ مُعْتَلَى

عَنَّتْ لَهُ شُمُّ الْجِبَالِ ذَهَباً * طَوْعَ يَدَيْهِ مَادَنَا وَمَا قَصَا

وَرَاوَدَتْهُ بُرْهَةً عَنْ نَفْسِهِ * فَمَا اشْرَأَبَّ نَحْوَهَا وَلَا رَنَا

أى هو صلى الله عليه وسلم نبي صدق : أى حق صادق فى زهده : أى شديد فيه . والزهد الاعراض عن الدنيا احتقاراً لها . ما فوقه لمعتل : أى ليس بعد علوه المعنوىوالحسى ليلة الاسراء . من معتلى : أى علو يطلبه أحد وهذا الشطر مقتبس من مقصورة حازم . عنت له بتشديد النون : أى ظهرت . واعترضت أمامه شم الجبال : أى عواليها . ذهباً : أى من ذهب فهو تمييز . طوع يديه : حال من شم الجبال أى طائعة يديه يتصرف فيها كيف شاء . مادنا وماقصا : أى قرب وبعد يعنى منها وهو بدل من شم الجبال . وراودته : أى خادعته . برهة بضم الباء وفتحها أى مدة طويلة. وقيل هى المدة مطلقة والمراد هنا الأول عن نفسه

أى إن تطاوعها على مرادها نفسه واسناد المراودة اليها مجاز إلا أن يكون الله أنصفها بقدرته . فما اشرأب : أى تطلع . نحوها : أى اليها . ولارنا : أى نظر . وهو اشارة إلى مارواه الترمذى وغيره : « عرض ربى على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكنى أشبع يوما وأجوع يوماً فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » وهذا معنى صدقه ﷺ فى زهده الذى أشار إليه الناظم وقد نسج فى هذين البيتين على منوال البوصيرى إذ يقول :

وراودته الجبال الشم من ذهب ۞ عن نفسه فاراها أيما شمم

وجنس الناظم بين صدق وصادق ومعتل ومعتلى بالمشتق

كَمْ وَقَفَ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ قَانِتاً ۞ لَمْ يَغْتَمِضْ بِسِنَةٍ وَلَا كَرَى

حَتَّى اشْتَكَتْ رِجْلَاهُ مَانَالَهُمَا ۞ مِنْ وَرَمٍ شَفَّهُمَا وَمِنْ أَذَى

فَأُنْزِلَتْ طٰــهٰ لَهُ تَكْرِمَةً ۞ وَزَالَ عَنْهُ مَااعْتَرَاهُ مِنْ شَقَا

وقف : أى قام . وقانتا : أى مصلياً وداعيــاً . لم يغتمض : أى لم ينطبق جفناه بسنة : وهى أول النوم . ولا كرى : وهو النوم . حتى : غاية لوقف . اشتكت رجلاه : أى توجعتا مما أصابهما . من ورم : وهو الانتفاخ من المرض . شفهما : أى أوهنهما . ومن أذى : أى مرض . فأنزلت : أى أوحى اليه قوله تعالى طه وأصله على ما قيل طأها أى الأرض فأبدلت الألف من الهمزة . تكرمة : أى لأجل إكرامه . وزال عنه : أى ذهب . ما اعتراه : أى اصابه من شقا : أى تعب والشقاء ممدود وقصر للقافية . ويشير بهذا الى مارواه البخاري وغيره « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتكلف

هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً،
وروى أنه كان يقوم على صدور قدميه إذا صلى ويراوح بين قدميه ليقوم على
كل رجل وإن ذلك هو سبب نزول هذه الآية طه ماانزلنا عليك القرآن لتشقى .
والحديث أخرجه بن مردويه وغيره

وَكَمْ طَوَى إِنَابَةً لِرَبِّهِ ۞ عَلَى الحِجَارِ كَشْحَهُ مِنَ الطَّوَى

طوى : ثنى . وإنابة : مفعول لأجله وهى التوبة والرجوع إلى الله .
والحجار : جمع حجر كالحجارة وهى للكثرة وجمع القلة أحجار والكشح مابين
الخاصرة إلى الضلع . والطوى : الجوع . ويشير بهذا الى ماروى فى الصحيح
عن جابر قال : « مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثاً وهم
يحفرون الخندق فقالوا يا رسول الله هاهنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا
عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثاً فصارت كثيباً »
قال جابر فحانت منى التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه
حجراً . وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة فتخمد حرارة الجوع
بعض الخمود . وجنس الناظم بين طوى والطوى جناساً تاماً

لَوْلَاهُ مَاكَانَتْ سَمٰوَاتٌ وَلَا ۞ أَضَاءَ نَجْمٌ مِنْ دَرَارِيهَا الْعُلِي

لولا : حرف امتناع لوجود أى لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لامتنع
وجود السماوات وامتنع أن يضىء بها نجم . والدرارى : الكواكب . والعلى :
جمع عليا وأنث الوصف اعتبار بتأنيث لفظ الموصوف وهذا المعنى قد كثر

ترداده فى الامداح النبوية وأصله مارواه الحاكم والبيهقى من أن الله عز وجل قال لآدم وقد رأى اسم محمد مكتوباً على العرش لولاه ماخلقتك . وما رواه الحاكم وصححه عن ابن عباس مرفوعاً وحكم الرفع أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن . قال الذهبى فى مسنده عمرو بن أوس لايدرى من هو قالوا وآدم أبو البشر وقد خلق الله لهم مافى الأرض جميعاً وسخر لهم الشمس والقمر بنص القرآن فاذا كانت هذه الأمور إذا خلقت لأجل البشر وأبو البشر إنما خلق لأجل محمد صلى الله عليه وسلم كانت السماوات والأرضون إنما خلقت لأجله

هُوَ الْحَبِيبُ الآمِرُ النَّاهِى الذَّى ✩ لَيْسَ يُضَاهِيه نَبِيٌّ مُجْتَبَا

الحبيب : يصح أن يراد به اسم الفاعل واسم المفعول لأنه صلى الله عليه وسلم محب محبوب لله ولأمته . والآمر اسم فاعل من الأمر وهو طلب الفعل . والناهى : من النهى وهو طلب الترك . وليس يضاهيه : أى يشابهه . نبى مجتبي : أى مختار

هُوَ الشَّفِيعُ فِى الْمَعَادِ لِلْوَرَى ✩ مُنْقِذُنَا فِى الْحَشْرِ مِنْ نَارِ لَظَى

هُوَ الْمُرَجَّى لِلْخُطُوبِ كَاشِفًا ✩ وَمَنْ سِوَاهُ لِلْخُطُوبِ يُرْتَجَا

هُوَ الذَّى مَنْ أَمَّهُ مُسْتَشْفِعًا ✩ مُسْتَمْسِكًا بِحَبْلِهِ فَقَدْ نَجَا

الشفيع : صاحب الشفاعة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات وأشهرها الشفاعة

العظمى فى إراحة الناس من الموقف وهى المرادة هنا . والمعاد : المرجع والمصير وهو الآخرة . والورى : الخلق . ومنقذنا : أى منجينا فى الحشر يوم القيامة . من نار لظى : أى جهنم . وهذا إشارة الى شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استوجب النار من أمته . هو المرجى : أى المؤمل . للخطوب : جمع خطب وهو الشدة . وكاشفاً : حال أى مزيلا . ومن سواه : استفهام إنكارى معناه النفى أى لا أحد سواه . يرتجى : لكشف الخطوب . وأمه : قصده . ومستشفعاً : أى طالباً منه الشفاعة . ومستمسكا : أى معتصما . وبحبله : أى بسببه . والمراد به الدين على سبيل الاستعارة . ونجا : فاز

هُوَ الَّذى فَاقَ النَّبِيِّينَ مَعًا فى خَلقِه وَخُلْقِه مُنْذُ بَدَا

فَكُلُّهُمْ مُسَلِّمٌ بِفَضْلِهِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ جَمِيعًا وَالنَّدَى

وَكُلُّهُمْ مِنْ بَحْرِهِ مُغْتَرِفٌ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى

وَكُلُّهُمْ دُونَ عُلَاهُ وَاقِفٌ فى حَدِّهِ مُلْتَمِسٌ مِنْهُ الرِّضَا

فاق : أى علا . ومعاً : أى جميعاً . والخلق بالفتح : الصورة الظاهرة . والخلق : بالضم والسكون للتخفيف واحد الأخلاق وهى الصفات النفسية من العلم والحلم والجود ونظائرها . ومنذ بدا : أى ظهر وهذا لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تفضلوا بين الأنبياء » لأنه محمول على تفضيل يؤدى الى تنقيص لأحد منهم وليس هذا كذلك لأنا نعتقد أنهم متصفون بالكمال وهو عليه السلام أكمل . قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » قال ابن عباس

البعض الأول هو محمداً صلى الله عليه وسلم. فكلهم مسلم: أى معترف. والفضل: ضد النقص. والعلم: معطوف على فضله مدخول للام الخبر وهو من عطف خاص على عام. والحلم: الصفح. وجميعاً: حال من الصفات المذكورة. والندى: الجود. وكلهم من بحره: أى فضله استعارة مرشحة بقوله. مغترف: وهو من اغترف الماء أخذ بيده. ومعترف: من الاعتراف وهو التسليم. وخير الورى: أفضل الناس. وفى الحديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر» رواه أحمد والترمذى وابن ماجه بهذا اللفظ ورواه غيرهم بألفاظ مختلفة. وكلهم دون علاه: أى مقصر عنه. واقف فى حده: أى غير متجاوز غايته. ملتمس: أى طالب منه الرضا وهذا يشعر به قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» الآية لأن المراد بالرسول هو صلى الله عليه وسلم. وجنس الناظم بين خلق وخلق وبين مغترف ومعترف بالمحرف والمصحف

وَكُلُّ مَاجَاءُوا بِهِ مِنْ آيَةٍ ✲ فَأَصْلُهُ مِنَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى

فَانْسُبْ لَهُ مَاشِئْتَهُ مِنْ شَرَفٍ ✲ وَاثْنِ بِمَا شِئْتَ عَلَيْهِ مِنْ ثَنَا

فَلَا تُرَى تَبْلُغُ مِنْهُ غَايَـةً ✲ وَكَيْفَ يُحْصِى أَحَدٌ حَدَّ الْحَصَى

وَمَا عَسَى تُثْنِى عَلَيْهِ مَادِحًا ✲ وَحَامِداً لِفِعْلِهِ وَمَا عَسَى

وَرَبُّهُ فِى مُحْكَمِ الْقُرْآنِ قَدْ ✲ أَثْنَى عَلَيْهِ وَحَبَاهُ بِالْهُدَى

الضمير فى جاؤا: للنبيين. والآية: المعجزة. فأصله: أى استمداده ويعنى أن

معجزات النبيين عليهم الصلاة والسلام من معجزاته صلى الله عليه وسلم لأن المعجزة نور يهتدى به وهو صلى الله عليه وسلم النور الأول الذى خلقه الله وخلق منه سائر الأشياء كما ثبت فى حديث جابر من رواية عبد الرزاق ولأجل ذلك . فانسب له : أيها المادح أى اعز ماشئته . من شرف : أى رفعة . واثن عليه : أى امدحه . بما شئت من ثنا : أى مدح وهو ممدود وقصره للقافية . فلا ترى : أى تظن . تبلغ منه : أى من الثناء عليه غاية . وكيف يحصى : أى لا يعد. أحد حد الحصى: وهى صغار الحجارة وهذا تمثيل لعدم الاحاطة بكمالاته صلى الله عليه وسلم . وما عسى تثنى عليه : أى ماترجو أن تذكره من الثناء عليه . مادحاً : أى مثنياً بجميل الصفات . وحامداً : أى مثنياً بجميل الأفعال ولذلك قيده بقوله لفعله وقيل لافرق بين المدح والحمد . وماعسى : توكيد لفظى لما فى أول البيت ومفادهما معاً الاستبعاد . وربه : الواو للحال . والمحكم : الثابت الذى لم ينسخ وإضافته الى القرآن من اضافة الصفة الى الموصوف . وأثنى عليه : أى فى مثل قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » « وإنك لعلى هدى مستقيم » وهو قوله : وحباه بالهدى . والمراد من البيتين أنك لاتبلغ من الثناء على من أثنى عليه الله تعالى فى كتابه العزيز شيئا . وهو كقول ابن الخطيب :

أرى كل مدح فى النبي مقصرا ولو بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله عليه فما مقدار مايمدح الورى

والناظم فى هذه الأبيات الأخيرة يجارى كلام البوصيرى إذ يقول :

نبينا الآمر الناهى فلا أحد أبر فى قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

ويقول :

وانسب إلى ذاته ماشئت من شرف وانسب إلى قدره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

ويقول :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

يَاأَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا رَحْمَةً ﴿ أَنْقَذَنَا اللهُ بِهِ مِنَ الرَّدَى
خَدَمْتُكُمْ بِمِدْحَتِي هَاذِي وَإِذْ ﴿ كُنْتُ مِنَ الْإِحْسَانِ نَاءِي الْمُنْتَوَى
أَقْصَرْتُ إِذْ كُنْتُ بِهَا مُقَصِّراً ﴿ وَلَمْ أَجِئْ فِيهَا بِمَعْنًى مُنْتَقَى
لَكِنَّنِي طَرَّزْتُهَا مِنْ مَدْحِكُمْ ﴿ بِحُلَلٍ ذَاتِ بَهَاءٍ وَحُلَى

المبعوث : المرسل . ورحمة : حال أى هو نفسه رحمة أو مفعول لأجله أى هو سببها وعلة فيها وهذا من قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وأنقذنا : أى نجانا . من الردى : أى الهلاك والمراد به الكفر استعارة تصريحية. خدمتكم بمدحتى هاذى : الخطاب له صلى الله عليه وسلم وجمعه للتعظيم والمدحة بكسر الميم هى والمدح سواء وهاذى بدل . والاحسان : الاجادة . ونائى : بعيد : والمنتوى : مفتعل من الانتواء وهو القصد والأولى أن يكون اسم

مكان . أقصرت : أى انتهيت والمقصر المخل بالواجب . والمنتق : المختار . والمعنى وقفت وانتهيت عن التمادى فيها لما رأيت أن غايتى العجز والقصور عن بلوغ المراد ولم آت فيها مع ذلك بمعنى مختار . لكننى طرزتها : أى زينتها وأصل التطريز جعلك للثوب طرازاً أى علما . بحلل : جمع حلة وهى ثوب يحل على آخر . وذات بهاء : صاحبة حسن . وحلى : جمع حلية وهى مايتحلى به أى يتزين والحلل هنا مستعارة للصفات الحسنة والأخلاق الكريمة

مَقْصُورَةٌ لَكِنَّهَا مَقْصُورَةٌ ✲ عَلَى امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى

فُقْتُ عَلَاءً كُلَّ ذِى مَقْصُورَةٍ ✲ وَإِنْ هُمْ نَالُوا الْأَيَادِى وَاللُّهَا

كَحَازِمٍ قَدْ عُدَّ غَيْرَ حَازِمٍ ✲ وَابْنُ دُرَيْدٍ لَمْ يُفِدْهُ مَادَرَى

مَاشِنْتُهَا بِمَدْحِ خَلْقٍ غَيْرِهِ ✲ لِرُتْبَةٍ أَحْظَى بِهَا وَلَا جَرَا

يعنى هى أى المدحة . مقصورة : أى قافيتها الألف المقصورة . لكنها مقصورة على امتداح المصطفى : أى محبوسة عليه لا تتجاوزه إلى غيره والامتداح المدح وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم . فقت : أى علوت . فعلاء منصوب على المصدرية . وكل ذى مقصورة : مفعول فقت أى صاحب قصيدة مقصورة القافية . وإن هم : مبالغة لفوقه عليهم . نالوا . أى أخذوا . الأيادى : الذى هو جمع أيد بمعنى النعمة . واللها : جمع لهوة وهى العطية . وفى المثل : أن اللها تفتح اللها . أى أن العطايا تفتح باب القول للشاعر . كحازم : هو أبو الحسن حازم الأنصارى القرطاجنى صاحب المقصورة البديعة فى مدح المستنصر الحفصى صاحب افريقية .

قد عد غير حازم : أى ليس له حزم وذلك بمدحه غير النبى صلى الله عليه وسلم . وابن دريد : هو أبو بكر بن دريد الأزدى البصرى إمام أهل اللغة والشعر وصاحب المقصورة الطائرة الصيت فى مدح ابنى ميكال . لم يفده مادرى : أى لم ينفعه ماعلم وهذا وجه افتخار الناظم بفوقه كل ذى مقصورة لأن مقصورته فاقت المقاصير حيث ان الشىء يشرف بشرف غرضه وأى غرض للشاعر أشرف من مدحه صلى الله عليه وسلم . ما شبتها : أى ما خلطتها . بمدح خلق : أى أحد من الناس . لرتبة : أى منزلة. أحظى : أى أتقرب بها من الممدوح . ولا جرا . أى عطاء وهو ممدود وقصره للقافية . ثم استدرك على مايفهم من قوله نالوا الأيادى واللها من أنه عليه السلام لاينال منه ذلك فقال :

وَإِنْ يَكُنْ مُلْفَى الغِنَى مِنْ غَيْرِه * فَلَنْ يفوتَ مُمْلقاً مِنْهُ الْغِنَى

وَإِنَّمَا قَصْدِى أَنْ أَحْظَى بِمَا * يَبْقَى مِنَ الذِّكْرِ الجَمِيلِ وَالتُّقَى

وَأَسْتَجِيرَ مِنْ ذُنُوبٍ أَثْقَلَتْ * ظَهْرِى وَأَوْهَى ثِقْلُهَا مِنِّى الْقُوَى

وَأَقْعَدَتْنِى مَقْعَدًا قَدْ غَضَّنِى * كَأَنَّنِى مِنْهُ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا

ملفى الغنى : أى موجده فهو مصدر ميمى من الالفاء والضمير فى غيره له صلى الله عليه وسلم . فلن يفوت مملقا : أى معدما والمراد من الحسنات والأعمال الصالحة . منه الغنى : أى الأخروى بالثواب الجزيل على مدحه والشفاعة المغنية عن الأعمال وقد بين مراده بذلك الغنى فقال : وإنما قصدى : أى ماأقصده . أن أحظى : أى أفوز . بما يبقى : أى الجزاء الباقى لا الذاهب كالمال . من الذكر

الجميل : أى الثناء الحسن . والتق : أى اتباع الأوامر واجتناب النواهى . وأستجير : معطوف على أحظى والاستجارة الاستعاذة . والذنوب : جمع ذنب وهو الاثم وشبهها بالحمل الثقيل تشبيها مضمراً فى النفس استعارة بالكناية . فقوله أثقلت ظهرى : تخييل . وأوهى : أى أضعف. ثقلها: أى حملهاالثقيل. منى القوى : جمع قوة وهذا ترشيح للاستعارة . وأقعدتنى مقعداً : أى أجلستنى مجلسا . قد غضنى : أى أنزل مرقدى . كأننى منه : أى من ذلك المقعد . على جمر الغضا : أى ناره وهو شجر ناره شديدة الحر بطيئة الانطفاء

يَاأَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَاءً وَنَدًى * يَاسَيِّدَ الرُّسْلِ الْكَرِيمَ الْمُنْتَمَى

يَاصَاحِبَ الْحَوْضِ الَّذِى مَنْ أَمَّهُ * يَحْظَى بِوِرْدٍ لَمْ تُكَدِّرْهُ الدِّلَا

مَاذَا تَرَى فِى مُذْنِبٍ نَأَتْ بِهِ * آثَامُهُ عَنْ كُلِّ مَجْدٍ وَعُلَا

بَاعَ الْمَعَالِى وَاشْتَرَى غَىَّ الْهَوَى * يَانِعْمَ مَابَاعَ وَبِئْسَ مَااشْتَرَى

فَكَمْ أَضَاعَ فِى الدُّنَا سُبُلَ الْهُدَى * وَكَمْ أَطَاعَ فِى الْهَوَى غَىَّ الصِّبَا

فَكُنْ شَفِيعًا يَوْمَ لَايُغْنِى امْرُأً * مَاضَمَّ مِنْ مَالِ الدُّنَا وَمَا حَوَى

ياأكرم الخلق : أى أشرفهم : علاء : أى شرفا . وندى : أى كرما وهما تميزاً لأكرم . ياسيد الرسل . أى أفضلهم . الكريم المنتمى : أى النسب . ياصاحب الحوض : هو نهر أتاه الله النبى صلى الله عليه وسلم ترده أمته فى المحشر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه لم يظمأ أبداً . ومن

أمه : أى قصده . ويحظى : أى يفوز . بورد : أى بشرب . لم تكدره الدلا : جمع دلو وهو آلة السقى أى لم تغيره وقصر الدلاء للقافية . ماذا ترى فى مذنب : يعنى نفسه والاستفهام لتوبيخها . ونأت به : أى بعدت . وآثامه أى ذنوبه . باع المعالى : أى ضيعها . واشترى غى الهوى : أى اكتسبه والغى الضلال وإضافته إلى الهوى من إضافة العام إلى الخاص والكلام على الاستعارة . يانعم ماباع : مدح للمعالى التى ضيعها . وبئس مااشترى : ذم للذى اكتسبه من الغى على سبيل المقابلة والمراد التأسف على ضياع المحمود وحصول المذموم . فكم أضاع : الفاء سببية . وكم : للتكثير أى كثيراً . ماضيع : بمعنى ضل . سبل الهدى : أى طرقه . وكم أطاع : أى تبع . غى الصبا : أى ضلال الشباب . فكن شفيعاً : الفاء تعليلية . وكن دعاء . وشفيعاً : أى فى عند الله تعالى . يوم لايغنى : أى ينفع . امرءاً : أى شخصا . ماضم : فاعل يغنى أى ماجمع . وكذا حوى واليوم المذكور هو يوم القيامة قال تعالى : « يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم »

يَارَبِّ بِالْمُخْتَارِ مِنْ أَرُومَةٍ ﴿﴾ قَصَّرَ عَنْهَا كُلُّ أَصْلٍ قَدْ زَكَا

وَمَنْ لَهُ كُلُّ خِيَارٍ انْتَمَى ﴿﴾ وَمَنْ بِهِ كُلُّ نَبِيٍّ اقْتَدَى

خُذْ بِيَدِي وَامْنُنْ بِلُطْفٍ مِنْكَ فِي ﴿﴾ دِينِي وَدُنْيَايَ وَجُدْ لِي بِالرِّضَا

وَاغْفِرْ بِعَفْوٍ مِنْكَ مَا اجْتَرَمْتُهُ ﴿﴾ وَاصْفَحْ عَنِ الزَّلَّاتِ يَارَبَّ الْعُلَى

وَاجْلُ صَدَا قَلْبِي وَهَبْ لِي تَوْبَةً ﴿﴾ أَمْحُو بِهَا آثَامَ قَلْبٍ قَدْ قَسَا

فَلَسْتُ أُلْفِىَ لِسِوَاكَ رَاجِيًا ۞ وَمَنْ سِوَاكَ يَاإِلٰهِى يُرْتَجَى

يارب : منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة تخفيفا . بالمختار : أى أتوسل اليك بالمختار وهو النبي صلى الله عليه وسلم . والأرومة : الأصل . وقصر عنها : أى تأخر . كل أصل قد زكا : أى صلح وطاب . وهذا دليله فى الحديث : « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش من بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » . ومن له كل فخار : أى مدح . انتمى : أى انتسب . ومن به كل نبي اقتدى : أى ائتم وذلك فى ليلة الاسراء وسبق القول فيه وفى هذا الاستتباع فانه أراد التوسل به عليه السلام فاستتبع ذلك وصفه بما ذكر وهو من البديع . خذ بيدى : أنقذنى ونجنى فهو كناية عن ذلك . وامنن : أى تفضل . بلطف : أى توفيق وعصمة . وجد لى بالرضا : أى بالقرب منك . واغفر : أى استر . وبعفو منك : أى صفح عن الزلات : ما اجترمته : أى اكتسبته من الذنوب . واصفح : أى أعف . عن الزلات : جمع زلة وهى الخطيئة . يارب العلى : أى السماوات . واجل صدا قلبي : أى اصقله والصدا الوسخ الذى يعلو الحديد ونحوه من عدم الاستعمال فهو استعارة للغفلة التى ترمى على القلب بسبب الانقطاع عن الطاعة . وهب لى : أى اعطنى . توبة : أى رجوعاً وإنابة . أمحو بها : أى أزيل واذهب آثام قلب : أى ذنوبه . قد قسا : أى غلظ فلا تنفع فيه الموعظة . فلست ألفى : أى أوجد لسواك راجيا ومن سواك : أى لا أحد غيرك يرتجى.

وَارْحَمْ مُحَمَّداً وَآلَ بَيْتِهِ ۞ وَصَحْبَهُ الْغُرَّ الْكِرَامَ الْمُنْتَمَى

وَصَلِّ صَلَاةً مِنْكَ تَتْرَى أَبَداً ۞ عَلَيْهِ مَاهَبَّتْ عَلَى الرَّوْضِ الصَّبَا

ارحم محمداً : أى زده تفضلا وتكرماً وأصل الرحمة الرقة والانعطاف فالمراد بها لازمها وهو ماذكرناه . وآل بيته : أى قرابته . وصحبه : اسم جمع لصاحب وهو من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا . والغر : جمع أغر والمراد به السيد الكريم . والكرام المنتمى: أى الشرفاء النسب . وصل : أى أعط . صلاة: أى رحمة لائقة بالمصلي عليه . تترى : أى متتابعة . ماهبت الصبا: أى مدة تحرك ريح الصبا وهو تأييد للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وفى هذا الكلام مالا يخفى من رعاية المقام وحسن الختام ختم الله لنا بالحسنى وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

